رايات العز

وَلْنَنشُرُوا رَايَاتِ عِزِّي بَعْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ وَنَنْشُرُوا أَعْلَامِي

صحيفة التصوف الإسلامي الدولية

السنة الرابعة (العدد 44) شعبان 1426 هـ - أكتوبر 2005م

12 صفحة

السعر 100 دينار

الإحتفال بليلة النصف من شعبان في شكينبة وكارلستاد

في السودان الحبيب وعلى أرض الجزيرة وبالقرب من مدينة ود مدني السني تقع قرية (شكينيبة) التي ارتبط اسمها بالسادة المكاشفية وسيدي عبدالباقي المكاشفي رضي الله عنه أحد السادة الأعلام في الصوفية وإذا ماذكر الأولياء ذكر سيدي المكاشفي صاحب الكرامات الظاهرة والأنوار الباهرة والأتباع الذين وفدوا من كل مكان للإحتفال بليلة النصف من شعبان كما يجتمعون في كل المناسبات الدينية وكل موالد اهل البيت النبوي الكريم رضوان الله عليهم وها هم يجتمعون في حلقات القرآن مرتلين ومهللين ومكبرين كما التفت حلقات الذكر حول مقامات السادة المكاشفية مع قصائد سيدي المكاشفي رضي الله عنه :

أهل الله ريحهم تنعش
بطريق نمش أوعاك الغش

ومن شكينبة في السودان في الشرق إجتمع في مدينة كارلستاد بالسويد في الغرب أبناء الطريقة البرهانية ليحتفلوا بليلة النصف من شعبان ويظهر في الصورة الأستاذ أحمد دافيد وهو من أبكار البرهانية في هذه المدينة مع أحدث الأحباب وهو الأستاذ جوستافز يشرح له الأوراد وكيفية ترتيلها ومعنى الإجتماع في هذه الليلة من شهر شعبان للإحتفال بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

حولية سيدي عبد الله بن جعفر الطيار في الشام

السَّيِّدُ، العَالِمُ، أَبُو جَعْفَرٍ القُرَشِيُّ، الهَاشِمِيُّ، الحَبَشِيُّ المَوْلِدِ، المَدَنِيُّ الدَّارِ، الجَوَادُ ابْنُ الجَوَادِ ذِي الجَنَاحَيْنِ لَهُ: صُحْبَةٌ، وَرِوَايَةٌ، عِدَادُهُ فِي صِغَارِ الصَّحَابَةِ،اسْتُشْهِدَ أَبُوهُ يَوْمَ مُؤْتَةَ، فَكَفَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَشَأَ فِي حَجْرِهِ،وَرَوَى أَيْضاً عَنْ: عَمِّه، عَلِيٍّ، وَعَنْ أُمِّه، أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ،حَدَّثَ عَنْهُ: أَوْلاَدُهُ، إِسْمَاعِيْلُ، وَإِسْحَاقُ، وَمُعَاوِيَةُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ البَاقِرُ، وَسَعْدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ، وَالقَاسِمُ بنُ مُحَمَّدٍ، وَابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، وَالشَّعْبِيُّ، وَعُرْوَةُ، وَعَبَّاسُ بنُ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَقِيْلٍ، وَآخَرُوْنَ،وَهُوَ آخِرُ مَنْ رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحِبَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وهو زوج الكريمة العظيمة السيدة زينب بنت الزهراء والكراررضي الله عنهما،وَكَانَ كَبِيْرَ الشَّأْنِ، كَرِيماً، جَواداً، يَصْلُحُ لِلإِمَامَةِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ، قَالَ:أَرْدَفَنِي رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثاً لاَ أُحَدِّثُ بِهِ أَحَداً، فَدَخَلَ حَائِطاً، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ.

وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ،عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ:أَنَّ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ، وَابْنَ الزُّبَيْرِ بَايَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمَا ابْنَا سَبْعِ سِنِيْنَ،فَلَمَّا رَآهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسَّمَ، وَبَسَطَ يَدَهُ، وَبَايَعَهُمَا،مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ أَبِي يَعْقُوْبَ: عَنِ الحَسَنِ بنِ سَعْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ:أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُم بَعْدَ مَا أَخْبَرَهُم بِقَتْلِ جَعْفَرٍ بَعْدَ ثَالِثَةٍ، فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا أَخِي بَعْدَ اليَوْم، ثُمَّ قَالَ: ائْتُوْنِي بِبَنِي أَخِي،فَجِيْءَ بِنَا كَأَنَّنَا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: ادْعُوا لِيَ الحَلاَّقَ،فَأَمَرَهُ، فَحَلَقَ رُؤُوْسَنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا مُحَمَّد، فَشِبْهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَبْدُ الله، فَشِبْهُ خَلْقِي وَخُلُقِي، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَأَشَالَهَا، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَراً فِي أَهْلِه، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَتِهِ قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا، فَذَكَرَتْ يُتْمَنَا، فَقَالَ: العَيْلَةَ تَخَافِيْنَ عَلَيْهِم وَأَنَا وَلِيُّهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟. قِيْلَ: إِنَّ أَعْرَابِيّاً قَصَدَ مَرْوَانَ، فَقَالَ: مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ، فَعَلَيْكَ بِعَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ، فَأَتَى الأَعْرَابِيُّ عَبْدَ اللهِ، فَأَنْشَأَ يَقُوْلُ:

أَبُو جَعْفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نُبُوَّةٍ
صَلاَتُهُمُ لِلْمُسْلِمِيْنَ طُهُوْرُ
أَبَا جَعْفَرٍ! ضَنَّ الأَمِيْرُ بِمَالِهِ
وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيْرُ
أَبَا جَعْفَرٍ! يَا ابْنَ الشَّهِيْدِ الَّذِي لَهُ
جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الجِنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ! مَا مِثْلُكَ اليَوْمَ أَرْتَجِي
فَلاَ تَتْرُكَنِّي بِالفَلاَةِ أَدُوْرُ

فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ! سَارَ الثَّقَلُ، فَعَلَيْك بِالرَّاحِلَةِ بِمَا عَلَيْهَا، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ عَنِ السَّيْفِ، فَإِنِّي أَخَذْتُهُ بِأَلْفِ دِيْنَار.

عَنِ ابْنِ سِيْرِيْنَ:أَنَّ رَجُلاً جَلَبَ سُكَّراً إِلَى المَدِيْنَةِ، فَكَسَدَ، فَبَلَغَ عَبْدَ اللهِ بنَ جَعْفَرٍ، فَأَمَرَ قَهْرَمَانَهُ أَنْ يَشْتَرِيَهُ، وَأَنْ يُنْهِبَهُ النَّاسَ.

ذَكَرَ: الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ، أَنَّ عُبَيْدَ اللهِ بنَ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَبِيْهِ،عَنْ جَدِّهِ، قَالَ:دَخَلَ ابْنُ أَبِي عَمَّارٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ فَقِيهُ أَهْلِ الحِجَازِ عَلَى نَخَّاس، فَعَرَضَ عَلَيْهِ جَارِيَةً، فَعَلِقَ بِهَا، وَأَخَذَهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مِقْدَارُ ثَمَنِهَا. فَمَشَى إِلَيْهِ عَطَاءٌ، وَطَاوُوْسٌ، وَمُجَاهِدٌ، يَعْذُلُوْنَهُ،وَبَلَغَ خَبَرُهُ عَبْدَ اللهِ، فَاشْتَرَاهَا بِأَرْبَعِيْنَ أَلفاً، وَزَيَّنَهَا، وَحَلاَّهَا، ثُمَّ طَلَبَ ابْنَ أَبِي عَمَّار، فَقَالَ: مَا فَعَلَ حُبُّكَ فُلاَنَةً؟ قَالَ: هِيَ الَّتِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهَا، وَالنَّفْسُ مَشْغُوْلَةٌ بِهَا.

فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ، أَخْرِجِيهَا،فَأَخْرَجَتْهَا تَرْفُلُ فِي الحُلِيِّ وَالحُلَلِ، فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَا، بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيْهَا.

فَقَالَ: لَقَدْ تَفَضَّلْتَ بِشَيْءٍ مَا يَتَفَضَّلُ بِهِ إِلاَّ اللهُ،فَلَمَّا وَلَّى بِهَا، قَالَ: يَا غُلاَمُ! احْمِلْ مَعَهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَم،فَقَالَ: لَئِنْ وَاللهِ وُعِدْنَا نَعِيْمَ الآخِرَةِ، فَقَدْ عَجَّلْتَ نَعِيْمَ الدُّنْيَا.

وَلِعَبْدِ اللهِ بنِ جَعْفَرٍ أَخْبَارٌ فِي الجُوْدِ وَالبَذْلِ، وَكَانَ وَافِرَ الحِشْمَةِ، كَثِيْرَ النَّعَمِ، وَمِمَّنْ يَسْتَمِعُ الغِنَاءَ.

قَالَ الوَاقِدِيُّ، وَمُصْعَبٌ الزُّبَيْرِيُّ: مَاتَ فِي سَنَةِ ثَمَانِيْنَ

شيخ العرب

هو أحمد بن على بن إبراهيم، وينتهى نسبه إلى الإمام الحسين رضي الله عنه وقد عمر مولده الميمون بمدينة طنطا وأمه الملايين من أرجاء المعمورة مبتهجين بليالي النفحات والبركات .

ولد رضي الله عنه بمدينة فاس بالمغرب سنة ٥٩٦هـ وتوفى رضي الله عنه سنة ٦٧٥هـ أى عاش ٧٩عاما.

ولما بلغ سبع سنوات سمع أبوه صوتا فى منامه يقول له: يا على انتقل من هذه البلاد إلى مكة المشرفة فإن لنا فى ذلك شأن وسافروا إلى مكة فى أربع سنوات، وفى سنة ٦٣٧هـ وفى شهر ربيع الأول سافر السيد أحمد البدوى إلى طنطا وعاش فيها حتى توفى ودفن فى مسجده العظيم بطنطا الذى يؤمه الناس من سائر البقاع للزيارة والتبرك بمقامه الشريف.

ومما يذكر من نظمه رضي الله عنه:

أنا الملثم سل عنى وعن همى
ينبيك عزمى بماذا قلته بفمى
قد كنت طفلا صغيرا نلت منزلة
وهمتى قد علت من سالف القدم

مولد قطب الأقطاب

من كلام سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه: إنما احتاج العلماء إلى شيخ يربيهم مع ذلك العلم العظيم الكثير لعدم إخلاص نيتهم فيه ودخول الإعجاب فيه، وطلب أحدهم أن يصرف وجوه الناس إليه، ولو أنهم سلموا من الآفات وأتوا حضرة العمل بلا علة لَنَارت قلوبهم بالعلم وأشرفوا على حضرة الله عز وجل، ولهان عليهم بذل نفوسهم في مرضاة الله تعالى، فضلا عن شيء من أعراض الدنيا،وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه يقول لقراء القرآن: إياكم والغيبة والتكلم بالكلام الفاحش، ثم تتلون القرآن، فإن حكم ذلك حكم من مس بألفاظ القرآن القذر ولا شك في كفره، وهذا أمر قد عم غالب قراء القرآن، فلا يكاد يسلم منه إلا القليل، حتى قال الفضيل بن عياض وسفيان الثوري: قد صار القراء يتفكهون في هذا الزمان بالغيبة وتنقيص بعضهم بعضا، خوفا أن يعلو شأن أقرانهم عليهم ويشتهرون بالعلم والزهد والورع دونهم وبعضهم يجعلها كالإدام في الطعام وهو أخفهم إثما ومع مولد قطب الأقطاب وأحب الأحباب في مدينة دسوق من مصر المحروسة.

إقرأ داخل العدد

الذكر.....2

الإنكار على الأولياء.....4

البرزخ المعمور..... 7،6

تاريخ المدينة المنورة...9

الذكر والتمييز بين العبادات

إن الله جلت قدرته قد أمر فى كثير من آيات القرآن وكذا أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى كثير من أحاديثه بالذكر وجعل الله للذاكرين عظيم الفضل على أن لبوا نداءه سبحانه وتعالى وأمضوا جل وقتهم ولسانهم رطب بذكر الله ولعظمة هذا الجزاء الذى أعده الله لعباده الذاكرين فإنه يصعب بل قد يستحيل حصره ولكنا بفضل الله ورسوله صلى الله عليه وسلم نتعرض بالإيضاح لبعض هذا الفضل.

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله ﴿لِذكر الله أكبر﴾ قال: لذكر الله لعباده إذا ذكروه أكبر من ذكرهم اياه. ومن جزيل فضل الله على الذاكرين أن جعل جزاؤهم أن يذكرهم الله فى الملأ الأعلى قوله ﴿وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم﴾ قال الإمام بن حجر العسقلانى عند شرحه للحديث: قال بعض أهل العلم يستفاد منه أن الذكر الخفى أفضل من الذكر الجهرى والتقدير إن ذكرنى فى نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحدا وإن ذكرنى جهرا ذكرته بثواب أطلع عليه الملأ الأعلى. وقول سبحانه ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ ١٥٢ البقرة لفظة ذكر هنا لها معنى كثير، فالذكر مطلقا يطالبنا به الحق سبحانه فى كثير من الآيات، فمثلا: الكتاب الكريم أطلق عليه لفظة ذكر فقال سبحانه ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ ٩ الحجر، وكذلك الصلاة فقال ﴿وأقم الصلاة لذكرى﴾ ١٤ طه. وفى الصوم قال ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون﴾ ١٨٥ البقرة ، والحج سماه ذكر فقال ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ ٢٠٣ البقرة نفهم من هذا كله أن العبادات الشرعية كلها ذكر ولكن يصح أن نعرف معنى لفظة (ذكر) من حيث مفهوم الذكر المطلق، فعندما نقول الحمد لله فهو ذكر ولكن يصنف تحت مسمى (تحميد) والله أكبر ذكر وتصنيفه فى (تكبير) وسبحان الله ذكر ولكنه (تنزيه) فكل النصوص الواردة فى الكتاب والسنة يجب أن نفهم من منطوقها اللفظى، بمعنى أنه سبحانه يقول صلوا فليس معناها حجوا أو صوموا ولكن صلوا بمعنى صلوا، فسائر الأحكام الشرعية هكذا.

أما معنى لفظة ذكر الواردة فى قوله ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ أن تذكره هو، تذكر اسمه هو، بمعنى (تردد اسمه سبحانه دون طلب المنفعة أو دفع المضرة) فيكون ذكره خالصا من كل الجهات، وهو الاسم (الله) كما حث فى آيات عديدة على ذكر هذا الاسم، مثل ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ وقال أيضا ﴿ولذكر الله أكبر﴾ ٤٥ العنكبوت، وهذا من باب اللغة، ونطقه الصحيح (اَللّٰهْ، اَللّٰهْ، اَللّٰهْ) الألف عليها فتحة، اللام الأولى مضغمة واللام الثانية عليها شدة وفتحة، والهاء عليها سكون (اَللّٰهْ). ومعنى الذكر أيضا عدم النسيان، وكيف لا ننسى؟ إذا ترقى الذكر إلى القلب ينتفى النسيان، وهل الذكر يذهب إلى القلب؟ نعم يجب أن يذهب الذكر للقلب لأن القلب محل التقوى لقوله جل شأنه ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ ٣٢ الحج والمرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال صلى الله عليه وسلم (إن فى الجسد جسدا إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) وقصة القلب كثيرة فى المصحف وفى الحديث، فالذكر يصل للقلب لكى تنتفى الغفلة، وهل الغفلة تنتفى؟ وكيف؟ تنتفى بنظام الطرق وهو أن الإنسان يذكر باللسان ثم يجتهد حتى يصل الذكر للقلب ثم يذكر بالقلب وهنا تنتفى الغفلة.

ثم عمل حال الذكر فقال (من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملأه) وهذا الذى ذكرناه أولا ثم نختم بقول الحبيب الذى أخرجه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة).

عصام مقبول

في معنى كلمة عتبة وأعتاب

يروي أهل السيرة . كما نَقَل الإمام السيوطي وغيره في الدر المنثور وغيره. مِن قصة بناء البيت في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ، عن سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما أنه لَمّا جاء إبراهيم عليه السلام بعدما تَزَوجَ إسماعيل عليه السلام يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل زوجته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثم سألها عليه السلام عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرٌ في ضيق وشدة، وشكَتْ إليه، قال عليه السلام: إذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيه أنْ يُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِه، فلَمّا جاء إسماعيل عليه السلام قال: هَلْ أتَاكُمْ مِنْ أحَدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة . وأثنت عليه . فسألني عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيشنا؟ فأخبرتُه أنّا بخير قال: أمَا أوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قالت: نعم ، وهو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تُثَبِّت عتبة بابك قال: ذَاكَ أبي، وَأنْتِ العَتَبَة، فَأمَرَنِي أنْ أُمْسِكَك.

فانظر يا أخي تأويل هذه الكلمة عند الأنبياء، واعلم أنها سارية في جمع أهل البيت من لدن إبراهيم وذريته ، لقوله تعالى ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيد﴾ سورة هود من الآية ٧٣ فَهُمْ أعتاب أبواب الله عند مَن ذاق المعاني وطهّر الأواني وأمّا عن ورودها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم أي كلمة عتبة .: فقد روى شرحبيل بن السمط أنه قال لكعب بن مرة حدّثْنا عن رسول الله واحذر، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه يَقُول (مَنْ بَلَغَ العَدَدَ بِسَهْمٍ رَفَعَهُ اللَّهُ بِه دَرَجَة) فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن ابْنُ أُمِّ النَّحَّام: فَكَيف حال مَن لا يملكهما؟

فاقتضت حكمة الرحمن الرحيم أن يَهَبَ للأُمّة راحةً عظمى لا ينقطع نورها أبد الآبدين، وهي سفينة النجاة متمثّلة في أفراد أهل البيت النبوي الطاهر كما أخبَرَ جدُّهمفي قوله المتقدم (مَثَلُ أهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوح) الحديث، والأعجب أن المولى جعلَهم محل الزاد أو الأزواد، فهم الزاد والراحلة، فاقصدهم تظفر وتغنم حد استطاعة السير إلى مولاك في علاه إذا مَنَعَك ضيق ذات اليد في هذه الدنيا التي يعطيها اللهُ مَن يحب ومَن لا يحب، فكُنْ بصحبتهم من أهل الآخرة وطلابها، فلا يعطيها الله إلا لِمَن يحب، فَكُنْ ممن أحبَّهم الله بصحبة مَن أحبَّهم الله ، فقدْ أخبَرَ الصادق المصدوق بذلك فقال (المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَب) وتَذَكَّرْ قوله (وَالدِّينُ عِنْدَ اللَّهِ حُسْنُ المَقْصِد).

د. إبراهيم دسوقي

حول الإنفاق في سبيل الله

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم تنزيله ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ ١٠٣ التوبة قال صلى الله عليه وسلم كل يوم تطلع فيه الشمس ينادى ملكا اللهم اعطى منفقا خلفا اللهم اعطى ممسكا تلفا، وقال صلى الله عليه وسلم إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما فى العمر ويدفع بهما ميتة السوء ويدفع بهما المكروه والمحذور.

قيل أن الصدقة من أربعة أحرف: فالصاد: صون لصاحبها من مكاره الدنيا والآخرة، والدال: دليل على طريق الجنة عند تحير الخلق، والقاف: قربة تقرب صاحبها إلى الله تعالى، والهاء: هداية يهدى الله صاحبها إلى رضوان الله الأكبر، وقد ورد فى الأثر عن عكرمة رضى الله عنه قال:

كان فى بنى إسرائيل رجل غنى ينفق ماله فى الله وكان له زوجة وولدا، ولما توفى هذا الرجل تصدقت الزوجة بماله كله ولم تبقى إلا مائتى درهم لولدها، فلما شب الغلام وعرف أن أباه كان من خيار بنى إسرائيل، سأل أمه عن مال أبيه؟ فقالت له: يا ولدى كان أباك منفقا ولما مات تصدقت بماله كله وبقيت لك مائتى درهم، فأخذها الغلام ومضى لينفقها فى سبيل الله، فمر بعير عريان طريح الأرض، فاشترى له كفنا بمائة وثمانون درهما وكفنه وواراه التراب وبقى معه عشرون درهما، وهو بالطريق قابله رجل وسأله أين أنت ذاهب يا غلام؟ فقال الغلام: ابتغى وجه الله، فقال له الرجل: هل أدلك على شئ تصيب به وجه الله وتجعل لى فيه النصف؟ فقال الغلام نعم، فقال له الرجل انطلق إلى هذه المدينة ستجد فيها امرأة ومعها سنور تبيعه فاشتريه منها ثم ادبحه ثم احرقه بالنار ثم اجمع رماده وادخل به المدينة الأخرى، فإن فيها ملكا قد ذهب بصره، فكحله بهذا الرماد يرجع إليه بصره، وبالفعل دخل الغلام المدينة ووجد المرأة كما أخبره الرجل ونفذ كلامه حتى وصل إلى الملك الضرير، فأمر الملك بالغلام أن يذهبوا به إلى وادى الكحالين، فلما ذهب وجد جميع الكحالين قد قتلوا لأنهم لم يستطيعوا أن يرجعوا بصر الملك، ولم يخاف الغلام بل أصر على أن يكحل الملك، فلما كحله الأولى قال الملك كأنى أرى شيئا، فلما كحله الثانية قال رأيت شيئا، فلما كحله الثالثة أبصر تماما، فقال الملك إنى أزوجك ابنتى وأعطاه مالا وفيرا، ومكث الغلام فترة ثم أخذ زوجته وماله لزيارة أمه، فقابله الرجل الذى دله على هذه المدينة وقال له أما تعرفنى؟ فقال الغلام: لا، فقال الرجل: أنا كذا وكذا وأخبره بقصته، فقاسمه الغلام كل شئ معه، ثم قال الرجل: بقى شئ، فقال الغلام وماهو؟ فقال الرجل: زوجتك، فقال الغلام وكيف تصنع؟ فقال الرجل: ننشرها، فأتى الغلام بمنشار ووضعه على رأس زوجته، فصاح فيه الرجل قائلا: قف فإنى رسول الله إليك حيث حفظت عهد أباك.

والإنفاق يرفع البلاء كما أخبرنا الحبيب صلوات ربى وسلامه عليه حيث قال (بكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة). ومن سورة البقرة ١٩٥ يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ فقد روى البخارى عن حذيفة: وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قال: نزلت فى النفقة. وروى يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران قال: غزونا القسطنطينية، وعلى الجماعة عبدالرحمن بن الوليد، والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: سبحان الله! أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما نصر الله نبيه وأظهر دينه، قلنا: هلم نقيم فى أموالنا ونصلحها، فأنزل الله عز وجل: وأنفقوا فى سبيل الله الآية. والإلقاء باليد إلى التهلكة أن نقيم فى أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. فلم يزل أبو أيوب مجاهدا فى سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية، فقبره هناك. فأخبرنا أبو أيوب أن الإلقاء باليد إلى التهلكة هو ترك الجهاد فى سبيل الله، وأن الآية نزلت فى ذلك. وروي مثله عن حذيفة والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك.

محمد سيد

قد أنكر الكثير على أكابر الأولياء ورموهم بالأكاذيب والكفر والإلحاد وهؤلاء الأكابر أعلى وأرقى بكثير من أن تتلفظ ألسنة هؤلاء بأسمائهم وليس الإنكار على أفعالهم وأقوالهم وسنقوم بسرد بعض أقوال أكابر الأولياء التى أنكرها بعضهم بل سيقوم بالرد عليهم أكابر العلماء من كتاب (الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية) لسيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه: فيقول بعض المنكرين أن الشيخ محيى الدين بن العربى يفضل مقام الولاية على مقام النبوة كذبا عليه وإفتراء، وقد قال المخزومى ردا على هذا المنكر لم أدر من أين أخذ المنكر ذلك من كلام الشيخ إلا أن يكون ذلك على عادة فهمه المعكوس وهاهى كتب الشيخ كلها بين أظهر الناس ليس فيها رائحة مما قاله هذا المنكر، وقد قال الشيخ فى شرحه لـ (ترجمان الأشواق) اعلم أن مقام النبى صلى الله عليه وسلم ممنوع دخولنا له وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ينظر من فى الجنة إلى أهل عليين أو كما ينظر أهل الأرض إلى كواكب السماء، وبلغنا عن الشيخ أبى يزيد البسطامى رضي الله عنه أنه قال فتح لى مقام النبوة قدر خرم إبرة تجليا لا دخولا فكدت أحترق، وذكر فى الباب السابع والستين وثلاثمائة من (الفتوحات المكية) مانصه: أعطيت من مقام العبودية التى خص بها الرسول صلى الله عليه وسلم مقدار الشعرة الواحدة من جلد الثور فما استطعت القيام به وطلبت الإقالة، لذلك قال شيخ الإسلام الشيخ مجد الدين الفيروز أبادى: لاينبغى لأهل الفكر السقيم النظر والاعتراض على أهل العطايا والمنح.

ومما أنكروه أيضا على سيدى إبراهيم الخواص رضي الله عنه أنه فى بدايته كان لايقيم فى بلدة إلا أيام قلائل ثم يرحل منها خوف الشهرة وأنه فى ذات مرة أقام فى بلدة فاشتهر فيها بالصلاح، فأراد أن يزيل تلك الشهرة لما رأى لها من ضرر على قلبه فقام بدخول إحدى الحمامات وغافل الحارس ولبس ثياب الأمير ولبس المرقعة خاصته فوقها وخرج يمشى ببطء حتى لحقوه وقاموا بضربه ونسبوه إلى اللصوصية، فقال بعض المنكرين إن هذا الفعل لايجوز شرعا لما فى ذلك من تعريض نفسه للتهمة ووقوع الناس فى عرضه وهو بذلك قد فعل أمرا يحرمه الشرع.

والجواب: أنه لاينبغى الإنكار على مثل ماذكر فإن قواعد الفقه تصرح بأن يجوز تعاطى أخف المفسدتين كاستعمال النجاسة فى المداواة عند فقد مايقوم مقامها من الطهارات، واعلم أن للفقير أن يداوى قلبه ببعض المحرمات ليدفع عنه محرما آخر هو أشد منه:

وإذا جاز أن تداوى الأجسام من الأسقام بشئ من المحرمات فأحرى أن يجوز مداواة القلوب التى هى محل نظر الله عز وجل من العبد بشئ محظور لأن مرض الأجسام رحمة وحسنات وإنما مرض القلوب نقمة وهلكات وأين هلاك الأبدان من هلاك الأديان؟!

وقد بان لك ياأخى من هنا أن مداواة القلوب من مرض محبة الشهرة والرئاسة أولى وأحرى.

ومما أنكروه ما وقع لأحمد بن أبى الحوارى حين أمره شيخه بأن يدخل فى التنور وذلك لأنه كلم شيخه وهو مشغول القلب، فذهب ودخل فيه وقد كان سيدى أحمد الحوارى قد عاهد شيخه من قبل أن لا يخالفه فى شئ ومكث فى التنور ساعة ثم تذكره شيخه فقال: اذهبوا فأخرجوا أحمد، فأخرجوه ولم يحترق منه شئ فقال المنكر: هذا فعل لايجوز شرعا وليس لأحد الامتثال لمثل هذا القول، والجواب: وهنا لاينبغى المبادرة إلى الإنكار لأن سيدى أحمد إنما دخل بعد علمه وقوة يقينه وظنه فى الله تعالى أنه لايحرقه بالنار إذا امتثل لأمر شيخه وأنه أيضا كان ساعيا فى الوفاء بعهده والوفاء بالعهد محمود فى الشرع. وقد قال الله تعالى ﴿قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبراهيم﴾ الأنبياء،٦٩ ولعل سيدى أحمد بن أبى الحوارى كان إبراهيمى المقام والله أعلم.

ومما أنكروه أيضا على أبى الغيث بن جميل اليمنى رضي الله عنه قوله لعلماء زمانه لما دخلوا عليه لزيارته مرحبا بعبيد عبدى فأنكر العلماء ذلك عليه وأخبروا بذلك الشيخ العارف بالله تعالى إسماعيل الحضرمى، فضحك وقال: صدق الشيخ أنتم عبيد الهوى والهوى عبده.

ولذلك اعلم حماك الله يا أخى إياك والهجوم على كلام الأكابر وأنت لم تدخل دائراتهم فمن امتلأ قلبه إيمانا بأحوال الفقراء وبالعلم بسيرتهم وسلم لهم أحوالهم هداه الله إلى الأجوبة الحسنة عنهم ومن كان بالضد عمى عن طريق الصواب والفلاح. (قاله اليافعى رحمه الله).

سعيد أمين

أكابر التصوف والذكر

العمل الدؤوب لسادتنا أهل الله الصالحين الذكر بل هو حرفتهم وشغلهم الشاغل وتجدهم دائما وأبدا يحثون عليه وعن كيفيته وأهميته فى السير إلى الله وفى جلاء النفوس، وقد بلغ التشبيه ذروته للإمام فخر الدين رضى الله عنه حينما شبه الذكر بالسيف الذى يقاتل به الذاكر أعداء الله المتمثلين فى القواطع الأربعة وهم (النفس والدنيا والشيطان والهوى).. فلذلك تجد الأعلام من أهل الله الصالحين يشيرون إليه لأنه بحر لا يبلغ شاطئه إلا الكمل من الأولياء الصالحين..

فمن أجل هذا أردنا الحديث عن الذكر وكيفيته وفوائده على لسان أحد أكابر الصوفية وأعلامها فى القرن التاسع الهجرى وهو الشيخ الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن على المقلب بالشعرانى رضى الله عنه فى كتابه (الأنوار القدسية فى معرفة قواعد الصوفية) وقد قال فى فوائد الذكر وكيفيته:اعلم رحمك الله أن للذكر فوائد لا تنحصر لأن الذاكر يصير جليس الله تعالى لا يرى فيه بينه وبين ربه واسطة فلا يعلم أحد قدر ما يتحف الحق تعالى من العلوم والأسرار كلما ذكر لأنها حضرة لايرد عليها أحد ويفارقها بغير مدد، فيقال لمن ادعى أنه حضر قلبه فى ذكره مع ربه: ماذا أتحفك وأعطاك فى هذا المجلس؟ فإن قال ماأعطانى شيئا، قلنا له: وأنت الآخر لن تحضر معه شيئا فاتخذ لك شيخا يزيل عنك الموانع المانعة لك عن الحضور.

وكذلك قال صاحب الحكم:لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله تعالى فيه، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز، وإليك بالدليل على فضل الذكر فروى الشيخان وغيرهما مرفوعا (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى، قال: ذكر الله) وكان معاذ بن جبل رضى الله عنه يقول آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت: أى الأعمال أحب إلى الله تعالى قال: (أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله). وفى الصحيح مرفوعا (أن لكل شئ صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله وما من شئ أنجى من عذاب الله من ذكر الله، قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد فى سبيل الله ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع). وروى ابن حبان فى صحيحه مرفوعا (ليذكرن الله قوم فى الدنيا على الفرش الممهدة يدخلهم الله الدرجات العلى) وهنا نتعرض إلى كيفية الذكر: فإن قيل: فأيهما أنفع الذكر منفردا أو جماعة؟ فالجواب الذكر منفردا أنفع لأصحاب الخلوة والذكر جماعة أنفع لمن لا خلوة له، فإن قلت: فأيهما أنفع الذكر جهرا أو سرا؟ فالجواب الذكر جهرا أنفع لمن غلبت عليه القسوة فى أصحاب البداية والذكر سرا أنفع لمن غلبت عليه الجمعية فى أصحاب السلوك.

فإن قلت: فهل الاجتماع على الذكر أفضل أم هو بدعة كما يزعم بعضهم؟ قلنا هو مستحب يحبه الله ورسوله وأى عبادة أفضل من عبادة قوم يجتمعون على ذكر الله ويجالسونه بذكرهم، فإن قلت: فما الدليل على أن الاجتماع على الذكر أفضل؟ الجواب: أن فى الدليل على ذلك مارواه مسلم والترمذى مرفوعا (لايقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده) وروى الإمام أحمد بإسناد حسن مرفوعا (مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل لايريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم منادى فى السماء: أن قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات). فإن قيل أيهما أفضل ذكر (لا إله إلا الله) أو زيادة (محمد رسول الله)؟ فالجواب الأفضل فى ذكر السالكين ذكر لا إله إلا الله دون محمد رسول الله حتى يحصل لهم الجمعية مع الله تعالى بقلوبهم، فإذا حصلت فذكر محمد رسول الله مع ذلك أفضل وبيان ذلك أن محمد رسول الله إقرار والإقرار يكفى فى العمر مرة واحدة والمقصود من تكرار التوحيد كثرة الجلاء لحجب النفوس على أن قول العبد لا إله إلا الله امتثال لقول رسول الله (قل لا إله إلا الله) وهو عين إثبات رسالته ولهذا اقتصر فى بعض الروايات على قول (لا إله إلا الله) فقال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها فقد عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)، فإن قيل أيهما أفضل الذكر أو تلاوة القرآن، من حيث أن الذكر ذكر وتلاوة؟ فالجواب الذكر أفضل للمريد وتلاوة القرآن أفضل للكامل الذى عرف عظمة الله تعالى ومرادنا بالذكر والقرآن مالم يقيده الشارع بوقت، فإن وقت ذلك كان الذكر أفضل فى موضعه والتلاوة أفضل فى موضعها، وكان الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول: تارة يكون القرآن أفضل وتارة يكون الذكر أفضل. وكان يقول اختلف العلماء فى أيهما أفضل قول العبد: (الله الله الله) أو (لا إله إلا الله) فذهب قوم من الصوفية إلى أن ذكر الجلالة أفضل للمبتدئ وذهب جمهور الصوفية إلى أن (لا إله إلا الله) أفضل للمبتدئ والمنتهى وذهب قوم إلى أن لفظ التوحيد ذكر المبتدئ وقول (الله) فقط ذكر المنتهى.

إقتباس سمير جمال

ولي نظم در

الحمد لله الشافي المعافي من علل القلوب والأبدان خالق الأدواء لكل داء ومنزل من القرآن مافيه للمؤمنين الرحمة والشفاء ومخرج من بطن النحلة مختلف ألوان الدواء للناس أكيد الرحمة الرحماء والصلاة والسلام على حبيبه من للقلوب الطب والدواء وللأبدان العافية والشفاء وللأبصار والضياء وعلى آله السادة الحكماء قادة العلماء ومنارة الأصفياء وخيار الأطباء.

كم في كتاب الله من يعسوبة

فوق المعاني تملك الأحكام

هنا نقف عند تشبيه الآيات المحكمات باليعاسب ثم تُدَثِّرُ الآيات وتظهر اليعاسب وهذه بلاغة قد تكون مسبوقة بمثيلاتها من الكنايات التصريحية والمكنية ولكن (فوق المعاني) فالمعروف أن المعاني هي بطون الكلمات والأحكام هي المقصود من المعنى بحيث لايقبل التأويل أو التبديل إلامن حكيم فالأحكام هنا من الحكمة وليست من الحُكم، والكلمات إذا صدرت من حكيم فإن لها ظهر وبطن ومطلع وحد فأين الفوقية والتحتية التي أتى بها الشيخ رضي الله عنه، فالفوقية للظهور والتحتية للبطون حيث أن الأحكام الشرعية قد ظهرت على جدر الآيات لتسير بها الحياة وتحل بها المشكلات المعضلات وأبطنت المعاني لتكون شرابا يملأ الأواني فيدور بها الساقي على قلوب المساقي فلا صدى ولاسغب ولالغوب لمن لغب فالحكم قد غلب، فالأحكام أنوار والمعاني أسرار والآيات كلمات معجزات بالمعاني تكون السقايات وبالأواني تكون الكاسات والطاسات، فلولا فوقية المعاني لصار القصي داني

وماكان إحكام المثاني وماكان فرق بين مظلوم وجاني ولولا تحتية المعاني ماوجد راغب التوحيد البغية والأماني فعالم التوحيد بغيته المعاني والتوحيد ليس تعديد ولكن تحديد فالإثنين واحد فالحكم مبنى والسر معنى، واليعسوبة تطوف على الورود التي سميت بذلك لأنها الورد المورود وذلك على التحقيق فتمتص الرحيق فيكون بطن المعاني وتزور الزهور فتأخذ الظهورفتكون المباني أيها الثقلان هلا تشهدان؟

شيخ أبوه

رايات الزمن
جريدة التصوف الإسلامي الدولية
تصدر نصف شهرية (مؤقتا شهرية)
عن مؤسسة دار العز الصحفية

- رئيس مجلس الادارة
ورئيس التحرير د. عبدالله محمد أحمد
- مديرة التحرير هادية محمد الشلالي
- مستشار التحرير محمد صفوت جعفر

العنوان الرئيسي
السودان - الخرطوم - ص. ب ١١١٤، هاتف: ٤٨٤٦٧٧ - ٤٨٤٦٧٨
فاكس: ٤٧٦٩٣٨ - ٤٧٤٧٩٥
E-mail: rayatulizz@hotmail.com
www.rayat-alizz.com

مع ذا النون المصري

قال ذو النون المصرى: حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما وقفت بعرفة رأيت شاباً عليه آثار الاصفرار والنحول والقلق والذبول، فعلمت أن عنده من المحبة محصول، فسمعته يقول: سيدى كيف ألبيك بلسان عصاك أو قلب جفاك، سيدى ما أجمل هذه الساعة إذ أنت تناجينى، وفى هذا الموقف تنادينى، قال ذو النون: فتقدمت إليه فلما رآنى قال مرحباً يا ذا النون، فقلت له: ومن أين تعرفنى؟ قال: عرّفنى بك من عرّفنى وأخبرنى بك من آنسنى، ثم قال: يا ذا النون حبه تيمنى وهجره أنحلنى فمتى أظفر بقربه، ويجود لى الحبيب برفع حجبه؟ قلت: من أين جئت؟ قال: من بلد القلب، أقصد حضرة الرب، قلت: فبم تزودت؟ قال: بقطرة من شراب أنسه، أرجو أن أصل بها إلى حضرة قدسه، قلت: فهل كانت لك مطية؟ قال: نعم، صفو النية والانقطاع عن الدنيا بالكلية، والتنزه فى مقامات حضرته السنية، ثم قال: إليك عنى يا ذا النون فما أقبح ساعة تمر فى غير طاعة، ثم تركنى ومضى، فلما جئت منًى رأيته ينظر إلى الناس وهم ينحرون ضحاياهم، فجرت دموعه وتزايد ولوعه وعظم خوفه وخشوعه، ثم قال: سيدى كل أحد تقرب إليك بنسكه وتقدم بملكه، وأنا ما أملك غير هذه النفس العاتية الغافلة الساهية وإنى أقربها إليك بالذلة والمسكنة بين يديك، فإن تكرمت بقبولها فجد بوصولها وأسرع فى تعجيلها، فأنت دليلها إلى سبيلها، ثم صاح وتأوه وسقط على الأرض ميتًا، فسمعت قائلا يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى، قال ذو النون: فوقفت عند رأسه ساعة أتفكر فيه وإذا بعجوز قد أقبلت إليه وألقت نفسها عليه، ثم أجرت الدموع أسفا وأظهرت حزنا وولها، ثم قالت: هنيئاً لك يا من كان دأبه النسك والوفاء، وما غفل عن خدمة سيده ولا هفا، وطالما قام فى الليل برداء الطاعة متلحفا، يمسى كئيبا ويصبح مدنفا، قال ذو النون: فقلت لها من يكون لك هذا الشاب؟ قالت: هو ولدى سائح فى الفلوات، أجتمع أنا وهو كل سنة فى الموسم والميقات فلا أعود أراه إلى العام المقبل، فلما وقفت فى هذه الساعة بعرفات طلبته على سالف العادات، فهتف بى هاتف أنه قد مات، وقد رفعت روحه إلى أعلى الدرجات، ثم قالت: يا سيدى بما بينى وبينك فى خلوتى وبما أودعت من محبتك فى مهجتى إلا ما خلصت نفسى العاتية من هذه الدار الفانية، وأوصلتنى مع ولدى إلى الدار الباقية، قال ذو النون: ثم تنهدت وخرت ميتة إلى جانب ولدها رحمه الله تعالى.

من كتاب الروض الفائق

أتعجب من ضعيفة اشتاقت إلى بيت مولاها

قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه: كانت أم دأب من كبار الصالحات إلى أن بلغ عمرها تسعين سنة وهى تحج فى كل سنة على قدميها من المدينة إلى مكة، فكف بصرها، فلما حضر وقت الحج دخل عليها النساء يزرنها ويتغممن لها فى كف بصرها، فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: إلهى وعزتك لئن فقدت نور بصرى بين يديك ما فقدت أنوار شوقى إليك، ثم أحرمت وقالت: لبيك اللهم لبيك وخرجت مع صواحباتها، فكانت تمشى بين أيديهن فتسبقهن فى المسير، قال ذو النون: فتعجبت من حالها، فهتف بى هاتف: يا ذا النون أتعجب من ضعيفة اشتاقت إلى بيت مولاها فحملها إليه بلطفه وقواها.

من كتاب الروض الفائق

طريق الموحدين

قال ذو النون المصرى: وصف لى عابدة من الزهاد ذات علم واجتهاد فقصدتها، فإذا هى صائمة النهار قائمة الليل لا تفتر عن العبادة ولا تمل من العمل، وهى مقيمة فى دير خرب، فلما جن الليل سمعتها تقول: سيدى لا ينام ولا ينبغى له المنام، فكيف الجارية تنام والمخدوم لا ينام لا وعزتك وجلالك ليس لى فى هذه الليلة منام، فلما أصبحت سلمت عليها فردت على السلام فقلت لها: يا جارية تسكنين فى مساكن النصارى وأنت على هذه الحالة؟ فقالت: يا ذا النون لا تتكلم بمثل هذا الكلام السقيم وأنت على هذا القدم العظيم، فلا يخطر غير الله فى بالك ولا تتوهم غيره فى خيالك، فقلت لها: أما تستوحشين فى هذا الدير؟ فقالت: والذى ملأ قلبى من لطيف حكمته وهيمنى فى محبته ما علمت فى قلبى موضعاً لغيره ولا فى جسدى عرقا إلا وهو ملآن بمعرفته، فكيف لا أستأنس بذكره وأنا دائماً فى حضرته، فقلت لها: قد أرشدتنى إلى الطريق فاسلكى بى مسالك القوم فإنى والله فى بحر ذنوبى غريق، فقالت: يا ذا النون اجعل التقوى زادك والآخرة مرادك والزهد والورع مطيتك، واسلك طريق الخائفين واترك طريق المذنبين تكتب فى ديوان الموحدين وتلق الله تعالى وليس بينك وبينه حجاب ولا يردك عنه بواب، قال ذو النون: فأثر كلامها فى قلبى وكان سبب رجوعى إلى ربى ثم تركتنى ومضت وهى تسوح.

جمع وتقديم محمد رأفت رجب

كظم الغيظ

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه تعالى عنه قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إن الغضب جمرة من النار فمن وجد ذلك منكم فإن كان قائما فليجلس، وإن كان جالسا فليضطجع قال: حدثنا محمد بن الفضل حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا المسيب عن محمد بن مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه تعالى عنه أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: إياكم والغضب فإنه يوقد في فؤاد ابن آدم النار ألم ترَ إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمرّ عيناه وتنتفخ أوداجه؟ فإذا أحس أحدكم بشيء من ذلك فليضطجع وليلصق بالأرض، وقال: إن منكم من يكون سريع الغضب سريع القيء فأحدهما بالآخر يعني يكون أحدهما بالآخر قصاصاً ومنكم من يكون بطيء القيء ويكون أحدهما بالآخر، وخيركم من كان بطيء الغضب سريع القيء وشركم من كان سريع الغضب بطيء القيء.

وروى أبو أمامة الباهلي رضي اللَّه تعالى عنه عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال من كظم غيظا وهو يقدر على أن يمضيه لم يمضه ملأ اللَّه قلبه يوم القيامة رضا ويقال: مكتوب في الإنجيل: يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارض بنصرتي لك فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك. وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه قال لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتني لعاقبتك أراد بذلك قول اللَّه تعالى ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظ﴾ وذكر أنه رأى سكران فأراد أن يأخذه فيعزره فشتمه السكران فلما شتمه رجع عمر، فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته؟ قال لأنه أغضبني فلو عزرته لكان ذلك لغضب نفسي ولا أحب أن أضرب مسلماً لحمية نفسي. وروى عن ميمون بن مهران أن جارية له جاءت بمرقة فعثرت فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها فقالت الجارية يا مولاي استعمل قول اللَّه تعالى ﴿وَالكَاظِمِينَ الغَيْظ﴾ فقال قد فعلت، فقالت اعمل بما بعده ﴿وَالعَافِينَ عَنْ النَّاس﴾ قال قد عفوت، فقالت اعمل بما بعده ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِين﴾ فقال ميمون أحسنت إليك فأنت حرة لوجه اللَّه تعالى.

وروى عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أنه قال من لم يكن فيه ثلاث خصال لم يجد طعم الإيمان: حِلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحرُزه عن المحارم، وخُلُق يداري به الناس. وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان له فرس وكان معجبا به، فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم فقال لغلامه من صنع هذا؟ فقال أنا، قال: لم؟ قال أردت أن أغمك، قال لا جرم لأغمنّ من أمرك به: يعني الشيطان: اذهب فأنت حرّ والفرس لك. ينبغي للمسلم أن يكون حليما وصبورا فإن ذلك من خصال المتقين وقد مدح اللَّه تعالى الحليم في كتابه فقال تعالى ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَر﴾ يعني من صبر على الظلم وتجاوز عن ظالمه وعفا عنه ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُور﴾ يعني من حقائق الأمور التي يثاب فاعلها على ذلك وينال أجرا عظيما وقال في آية أخرى ﴿لا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَة﴾ يعني لا تستوي الكلمة الحسنة والكلمة السيئة يعني لا ينبغي للمسلم أن يكافئ كلمة حسنة بكلمة قبيحة ثم قال ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن﴾ يعني ادفع الكلمة القبيحة بالكلمة التي هي أحسن ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم﴾ يعني إنك إذا فعلت ذلك صار عدوّك صديقا لك مثل القريب وقد مدح اللَّه تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بالحلم فقال ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيب﴾ فالحليم المتجاوز والأواه الذي يذكر ذنوبه ويتأوه، والمنيب الذي أقبل على طاعة اللَّه تعالى، وقد أمر اللَّه تعالى نبيه صلى اللَّه عليه وسلم بالصبر والحلم وأخبره أن الأنبياء الذين كانوا من قبله كانوا على ذلك فقال تعالى ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُل﴾ يعني اصبر على تكذيب الكفار وأذاهم كما صبر الأنبياء الذين أمروا بالقتال مع الكفار، وأولو العزم هم ذوو الحزم وهم الذين يثبتون على الأمر ويصبرون عليه، وقال الحسن في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاما﴾ يعني قالوا حلما وإن جهل عليهم حلموا.

إبراهيم عبد المجيد

فراقك أشد من فراق الروح للجسد

قال الجنيد رضي الله عنه جلست يوماً بين أصحابى نتذاكر عباد الله الصالحين فقال السرى: كنت يوماً جالساً فى بيت المقدس عند الصخرة وكانت أيام العشر وأنا متحسر على التخلف عن الحج فى تلك السنة، فقلت فى نفسى: إن الناس قد توجهوا إلى مكة ولم يبق إلا أيام قلائل وأنا هاهنا مقيم فبكيت على فوات نصيبى وتخلفى، فسمعت هاتفاً يقول: يا سرى لا تبك فإن الله تعالى يقيض لك من يوصلك إلى الحج، فقلت: وكيف يكون ذلك وقد بقى أيام يسيرة وأنا ببيت المقدس فقال: لا تحزن إن الملك القدير يهون عليك العسير، فسجدت شكراً لله تعالى وجلست أنتظر صدق الهاتف، وإذا بأربعة شباب قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تطلع من وجوههم والنور يلمع من جباههم، يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم خلفه وعليهم لباس الشعر وفى أرجلهم نعال الخوص، فدنوا من الصخرة ودعوا الله تعالى فامتلأ المسجد من أنوارهم فقمت معهم وقلت يارب لعل هؤلاء الذين رحمتنى بهم ورزقتنى صحبتهم، فدخلوا القبة والشاب أمامهم وهم خلفه، فصلى كل واحد منهم ركعتين والشاب قائم يناجى ربه فدنوت منه لأسمع مناجاته، فبكى ثم كبر وصلى صلاة سلبت فؤادى ولبى، فلما فرغ جلس. وجلس الثلاثة بين يديه، فدنوت منهم، وقلت: السلام عليكم، فقال الشاب: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا سرى، يا صاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم، وبشرك بأن لا يفوتك الحج فى هذه السنة، فكدت أن أصعق وامتلأ قلبى فرحا وسروراً، فقلت: نعم يا سيدى هتف بى هاتف قبل ورودكم بساعة، فقال: نعم يا سرى كنا قبل أن يهتف بك الهاتف بساعة فى بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا وعزمنا على القصد إلى بيت الله الحرام، فأجبنا زيارة قبور الأنبياء بالشام ثم نقصد مكة شرفها الله تعالى وقد قضينا حقوقهم وزرناهم وأتينا إلى هاهنا نزور البيت المقدس، فقلت له: يا سيدى وما كنتم تصنعون بخراسان فقال لأجل الإجتماع بإبراهيم بن أدهم ومعروف الكرخى إخواننا فى الله عز وجل، فجئنا إلى بغداد نقصد البيت الحرام، فجئت أنا إلى بيت المقدس لأجل الزيارة وذهبا هما من طريق البادية.

فقلت: يرحمك الله من خراسان إلى بيت المقدس مسيرة سنة، فقال: ولو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده، والأرض أرضه، والسماء سماؤه، والزيارة لبيته، والقصد إليه، والإبلاغ عليه، والقوة والقدرة له، أما ترى الشمس كيف تسير من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد؟ أهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وإرادته؟ فإذا كانت الشمس وهى جماد لا حساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق إلى المغرب فى يوم واحد، فليس بعجيب أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان إلى بيت المقدس فى ساعة واحدة، فإن الله تعالى له القوة والقدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار، يا سرى عليك بعز الدنيا والآخرة وإياك أن تصل إلى ذل الدنيا والآخرة، فقلت: يرحمك الله أرشدنى إلى عز الدنيا والآخرة، فقال: من أراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه، ولا يركن إليها ولا يطمئن بها، فإن صفوها ممزوج بكدرها، وحلوها منغص بمرها، فقلت له: يا سيدى بالذى خصك بأنواره وأطلعك على أسراره أين تقصد؟ قال: الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، فقلت: والله لا أفارقك فإن فراقك أشد من فراق الروح للجسد، فقال: بسم الله، فخرجت معهم من البيت المقدس إلى البادية ولم نزل نسير حتى قال: يا سرى هذا وقت الظهر أما نصلى؟ فقلت: بلى، فعزمت على التيمم بالتراب، فقال: إن هاهنا عين ماء، فعدل عن الطريق وإذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت.

فقلت: والله لقد سلكت هذا الطريق مرارا ولم يكن هاهنا عين ماء، فقال: الحمد لله على لطفه بعباده، فصلينا الظهر ثم سرنا إلى وقت العصر، فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا حيطانها، فقلت: هذه أرض الحجاز؟ فقال لى: قد وصلت إلى مكة، فأخذنى البكاء والنحيب، ثم قال: يا سرى تدخل معنا؟ قلت: نعم، فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب، فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقال: الحمد لله على السلامة، فقلت: يرحمك الله من هؤلاء؟ قال: أما الكهل فإبراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكرخى، فصلينا صلاة المغرب والعشاء ثم قام كل منهما إلى الصلاة فقمت أنا ووافقتهم بحسب طاقتى فغلبنى النوم فى السجود فلما انتهيت لم أر أحدا منهم فبقيت كالمجنون الهائم وطفت عليهم فى المسجد وفى مكة وفى منى فلم أجدهم فرجعت باكيا حزينا لتخلفى عنهم وفوت نصيبى منهم.

مصطفى أنور الميهي

واحة الثقافة والأدب

قصص

حكي أن الخيزران جارية الخليفة المهدي كانت أديبة وشاعرة، فعزم المهدي على شرب دواء، فأنفذت إليه جام بلور فيه شراب اختارته له مع وصيفة بكر بارعة الجمال وكتبت إليه تقول:

إذا خرج الإمام من الدواء
وأعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب
بهذا الجام من هذا الطلاء
فينعم للتي قد أنفذته
إليه بزورة بعد العشاء

فسر بذلك المهدي ووقعت منه الجارية أعظم موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين.

العلم في غير أهله

لما دخل الإمام الشافعي مصر، أتَاه أصحاب الإمام مالك، وأقبلوا عليه، فلمَّا أن رأوه يخالف مالكاً، وينقُضُ، جَفَوه وتنكَّروا لهُ. فأنشأ يقول:

أَأَنْثُرُ دُراً بَيْنَ سَارِحَةِ البَهَمْ
وَأَنظُمُ مَنْثُوراً لِرَاعِيَةِ الغَنَمْ
لَعَمْرِي لَئِنْ ضُيِّعْتُ فِي شَرِّ بَلْدَة
فَلَسْتُ مُضِيعاً فِيهِمُ غُرَرَ الكَلِمْ
سَأَكْتُمُ عِلْمِي عَنْ ذَوِي الجهْلِ طَاقَتِي
وَلاَ أَنْثُرُ الدُّرَّ النَّفِيسَ عَلَى الغَنَمْ
أَنَّهُمُو أَمْسَوا بِجَهْلٍ لِقَدْرِه
فَلاَ أَنَا أَضْحَى أَنْ أطوقه البَهَمْ
لَئِنْ سَهَّلَ اللَّهُ العَزِيزُ بِلُطْفِه
وَصَادَفْتُ أَهْلاً لِلْعُلُومِ وللْحِكَمْ
بَقَيْتُ مُفِيداً واسْتَفَدْتُ وِدَادَهُم
وَإِلاَّ فَمَكْنُونٌ لَدَيَّ وَمُكْتَتَمْ
وَمَنْ مَنَحَ الجُهَّالَ عِلْمَاً أَضَاعَهُ
وَمَنْ مَنَعَ الْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ
وَكَاتِمِ عِلْمِ الدِّينِ عَمَّنْ يُرِيدُهُ
يَبُوءُ بِإِثْمٍ زَادَ وَإِثْمٍ إِذَا كَتَمْ

أشرف ذو القرنين على جبل قاف فرأى تحته جبالا صغارا، فقال له: ما أنت؟ قال: أنا قاف، قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض؛ فقال له: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله؛ قال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم به بعضها بعضا، لولا هي لاحترقت من حر جهنم وقال الشاعر وهو تبع اليماني:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما
ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي
أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغيب الشمس عند غروبها
في عين ذي خلب وثأط حرمد

كان الخليفة المنصور معجبا بمحادثة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وكان الناس لعظم قدره يفزعون إليه في الشفاعات، فثقل ذلك على المنصور، فحجبه مدة، ثم لم يصبرعنه فأمر الربيع أن يكلمه في ذلك، فكلمه وقال: إعف ياأمير المؤمنين لاتثقل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه إلى الباب إعترضه قوم من قريش معهم رقاع، فسألوه إيصالها إلى المنصور، فقص عليهم القصة فأبوا إلا أن يأخذها فقال: إقذفوها في كمي، ثم دخل على المنصور وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين، فقال له: أما ترى إلى حسنها ياأبا عبد الله؟ فقال له: ياأمير المؤمنين بارك الله لك فيما آتاك وهنأك بإتمام نعمته عليك فيما أعطاك، فما بنت العرب في دولة الإسلام ولا العجم في سالف الأيام أحصن ولاأحسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة، قال: وما هي؟ قال ليس لي فيها ضيعة، فتبسم وقال قد حسنتها في عينك بثلاث ضياع قد إقتطعتكها، فقال أنت والله ياأمير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر، فجعل الله تعالى باقي عمرك أكثر من ماضيه، ثم أقام معه يومه ذلك، فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه، فجعل يردهن ويقول: إرجعن خائبات خاسرات، فضحك المنصور وقال بحقي عليك ألا أخبرتني وأعلمتني بخبر هذه الرقاع؟ فأعلمه، وقال ما أتيت يابن معلم الخير الاكريما، وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

لسنا وإن أحبابنا كرمت
يوما على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا

وتصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن أخرها، قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وأربحت.

نفحات عبر

نذر بعض الخلفاء على نفسه أن لا ينشد شعرا ومتى أنشد بيت شعر فعليه عتق رقبة، فبينما هو في الطواف يوما إذ نظر إلى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له ياهذا إتق الله أفي مثل هذا المكان؟ فقال الشاب ياامير المؤمنين والله ماذاك لخني ولكنها إبنة عمي وأعز الناس على وإن أباها منعني من تزوجها لفقري وفاقتي، وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم أقدر من ذلك، قال فطلب الخليفة أباها ودفع إليه ما اشترطه على ابن أخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها، ثم دخل الخليفة إلى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جاريته أراك اليوم يامولاي تنشد الشعر أفنسيت ما نذرت أم نراك قد هويت فأنشد هذه الأبيات يقول:

تقول وليدتي لما رأتني	**طربت وكنت قد أسليت حينا**
أراك اليوم قد أحدثت عهدا	**وأورثك الهوى داء دفينا**
بحقك هل سمعت لها حديثا	**فشاقك أورأيت لها جبينا**
فقلت شكا إلي أخ محب	**كمثل زماننا إذ تعلمينا**
وذو الشجو القديم وإن تعزى	**محب حين يلقى العاشقينا**

ثم عدّ الأبيات فإذاهي خمسة أبيات، فأعتق خمس رقاب ثم قال لله درك من خمسة أعتقت خمسة وجمعت بين رأسين في الحلال.

أصل الغناء ومعدنه

قال أبو المنذر هشام: الغناء على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج، فأما النصب فغناء الفتيان والركبان، وأما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات، وأما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يستفز القلوب وهيج الحليم، وقيل كان أصل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة، وهذه القرى مجامع أسواق العرب ويقال إن أول من صنع العود لامك بن قاين بن آدم، وبكى به على ولده، ويقال إن صانعه بطليموس صاحب الموسيقى، وهو كتاب اللحون الثمانية، وكان لهارون الرشيد جماعة من المغنيين منهم إبراهيم الموصلي وبن جامع السهمي وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان إبراهيم إشدهم تصرفا في الغناء، وبن جامع أحلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ماذا تقول في بن جامع؟ فقال ياأمير المؤمنين وما أقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فإبراهيم الموصلي؟ قال بستان فيه جميع الأزهار والرياحين، وكان بن محرز يغني لكل إنسان بمايشتهيه كأنه خلق من قلب كل إنسان، وغنى رجل في حضرة الرشيد:

وأذكر أيام الحمى ثم أنثني	**علي كبدي من خشية أن تصدّع**
فليست عشيات الحمى برواجع	**عليك ولكن خلي عينيك تدمع**
بكت عيني اليسرى فلما نهيتها	**عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا**

فاستخف الرشيد الطرب فأمر له بمائة ألف درهم.

(سعد إن جئت ثنيات اللوى)

وحبيبي قمرٌ متسقٌ
في سناه المس أضحت كالهبى
ذو قوامٍ قامَ عذرى في الهوى
مُذ تبدَّى من ثنيات اللوى
وجبينٌ هلَّ سعَدي مُذ بَدا
مُتسامٍ عن هلالٍ بِسمى
ولماءِ الحسنِ في وجنته
رونقٌ يربو على ورد الربى
كل درٍّ وعقيق دونَ ما
حازَ ذاكَ الثغرُ من وصفٍ وزى
واللمى أفديه عنْ معسوله
قصر الشهدُ ولم يأتِ بشىْ
وعبيرُ المسكِ من أنفاسه
لم يَزَلْ يُروى ولم يحكِ الثرى
ولعمري كل حسنٍ في الورى
قاصرٌ عن حُسنِ جَدِّ الحسنى
أحمدُ الهادي إلى دين الهدى
ببيانٍ محكمٍ من عندِ حَى
ونبيٌّ مِن قديمٍ كمْ رَووا
في عُلاه من حديثٍ يا بُنى
خير مبعوثٍ محتْ أنوارُه
بصَباحِ الردِ عنَّا ليلَ غى

السيدة عائشة الباغونية

أمثال وحكم

احذر مجالسة العاجزفإنه من سكن إلى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب، وليس للعجز ضد إلا الحزم، وقال بعض العلماء من الخذلان مسامرة الأماني ومن التوفيق بغض التواني، وقال الإمام علي رضي الله عنه التواني مفتاح البؤس وبالعجز والكسل تولدت الفاقة ونتجت الهلكة ومن لم يطلب لم يجد وأفضى إلى الفساد.

كأن التواني أنكح العجز بنته
وساق إليها حين زوجّها مهرا
فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي
فإنكما لابد أن تلدا الفقرا

من أمثال العرب
(جاوِرِينَا وَاخْبُرِينَا)

قال يونس: كان رجلان يتعشَّقان امرأةً، وكان أحدُهما جميلا وَسيما، وكان الآخر دَميما تقتحمه العين، فكان الجميلُ منهما يقول: عاشرينا وانظري إلينا، وكان الدميم يقول: جاوِرِينا واخْبُرِينا، فكانت تُدْنِي الجميلَ، فقالت: لأختبرنَّهما، فقالت لكل واحد منهما أن يَنْحَر جَزُورا، فأتتهما متنكرة، فبدأت بالجميل فوجَدَتْه عند القِدْرِ يَلْحَس الدسَم ويأكل الشحم، ويقول: احتفظوا كلَّ بيضاء لِيَهْ، يعني الشحم، فاستطعمته فأمر لها بِثَيْلِ الجَزور، فوضع في قصعتها، ثم أتت الدَّمِيم فإذا هو يَقْسِم لحم الجزور ويُعْطي كل مَنْ سأله، فسألته فأمر لها بأطايبِ الجزور، فوضع في قصعتها، فرفعت الذي أعطاها كلٌّ واحدٍ منهما على حِدَة، فلما أصبحا غَدَوَا إليها فوضَعَت بين يدي كل واحد منهما ما أعطاها، وأقصت الجميل، وقربت الدميم، ويقال: إنها تزوجته. يضرب في القبيح المنظر الجميل المَخْبَر.

من نوادر النحاة

كان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعيل الأب علة شديدة أشرف منها على الموت، فاجتمع عليه أولاده وقالوا له ندعو لك أخانا فلانا؟ فقال الرجل لا فإنه إن جاءني قتلني بتقعره في النحو والصرف، فقالوا نحن نوصيه ألا يتكلم، فدعوه فلما دخل على أبيه قال له ياأبت: قل لاإله إلا الله تدخل بها الجنة وتفوز من النار، ياأبت والله ما أشغلني عنك إلا فلان فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجج وأبصل وأمضر ولوزج وافلوزج.

فصاح أبوه غمضوني فقد سبق أخوكم ملك الموت في قبض روحي.

وعاد بعض الناس نحويا فقال ماالذي تشكوه فقال النحوي (حمى جاسيه نارها حاميه من الأعضاء واهيه والعظام باليه) فقال له الرجل (لاشفاك الله بعافيه ياليتها تكون القاضيه).

والبرزخ المعمور عنهم قد حكى

البَرْزَخُ: ما بين كل شيئين، وفي الصِّحاح: الحاجز بين الشَّيئين، والبَرْزَخُ: ما بين الدُّنيا والآخرة قبل الحشر من وقت الموت إِلى البعث، فمن مات فقد دخل البَرْزَخ، وفي حديث المبعث عن أَبي سعيد: في بَرْزَخٍ ما بين الدنيا والآخرة، قال: البَرْزَخُ ما بين كل شيئَين من حاجز، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون: ١٠٠ قال: البَرْزَخُ من يوم يموت إِلى يوم يبعث، وفي حديث عليّ رضوان الله عليه: أَنَّه صلَّى بقوم فأَسْوَى بَرْزَخا، قال الكسائي: قوله فأَسْوَى بَرْزَخاً: أَجْفَلَ وأَسْقَط، قال: والبَرْزَخ ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت: هو في بَرْزخ لأَنه بين الدُّنيا والآخرة.

فأراد بالبَرْزَخ ما بين الموضع الذي أسقط عليٌّ منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه من القرآن، وبَرازخُ الإيمان: ما بين الشك واليقين، وقيل: هو ما بين أَوّل الإيمان وآخره، وفي حديث عبد الله: وسئل عن الرجل يجد الوسوسة، فقال: تلك بَرازخُ الإيمان، يريد ما بين أَوله وآخره، وأَوّلُ الإيمان الإقرار بالله عزَّ وجلَّ، وآخره إماطة الأَذى عن الطَّريق، والبَرازخ جمع بَرْزَخ، وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ﴾ الرحمن: ٢٠ يعني حاجزاً من قدرة الله سبحانه وتعالى، وقيل: أي: حاجز خفي، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً﴾ الفرقان: ٥٣ أي: حاجزا، قال: والبرزخ والحاجز والمُهْلَة متقاربات في المعنى، وذلك أَنَّك تقول بينهما حاجزٌ أَن يَتَواَرا، فتنوي بالحاجز المسافة البعيدة، وتنوي الأَمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث، فَوَقَعَ عليها البَرْزَخ.

ومن ورائهم برزخ أي ومن أمامهم وبين أيديهم، وقيل: من خلفهم، برزخ أي حاجز بين الموت والبعث، قال الضحاك ومجاهد وابن زيد، وعن مجاهد أيضاً أن البرزخ هو الحاجز بين الموت والرجوع إلى الدنيا، وعن الضحاك: هو ما بين الدنيا والآخرة، ابن عباس، حجاب، السدي: أجل، قتادة: بقية الدنيا، وقيل: الإمهال إلى يوم القيامة، حكاه ابن عيسى، الكلبي: هو الأجل ما بين النفختين، وبينهما أربعون سنة، وهذه الأقوال متقاربة، وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ، قال الجوهري: البرزخ الحاجز بين الشيئين، والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل في البرزخ، وقال رجل بحضرة الشعبي: رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة! فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة، فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء﴾ من خصوصية الخبر عن المقتول في سبيل الله الذي لم يعم به غيره؟ وقد علمت تظاهر الأخبار عن رسول الله أنه وصف حال المؤمنين والكافرين بعد وفاتهم، فأخبر عن المؤمنين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى الجنة يشمون منها روحها، ويستعجلون الله قيام الساعة ليصيروا إلى مساكنهم منها ويجمع بينهم وبين أهاليهم وأولادهم فيها، وعن الكافرين أنهم يفتح لهم من قبورهم أبواب إلى النار ينظرون إليها ويصيبهم من نتنها ومكروهها، ويسلط عليهم فيها إلى قيام الساعة من يقمعهم فيها، ويسألون الله فيها تأخير قيام الساعة حذارا من المصير إلى ما أعد الله لهم فيها مع أشباه ذلك من الأخبار، وإذا كانت الأخبار بذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الذي خص به القتيل في سبيل الله مما لم يعم به سائر البشر غيره من الحياة وسائر الكفار والمؤمنين غيره أحياء في البرزخ، أما الكفار فمعذبون فيه بالمعيشة الضنك، وأما المؤمنون فمنعمون بالروح والريحان ونسيم الجنان؟ قيل: أن الذي خص الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم تعالى ذكره إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر من لذيذ مطاعمها الذي لم يطعمها الله أحدا غيرهم في برزخه قبل بعثه، ولكن من أهل البرزخ يشاركوننا في دنيانا وذلك في قوله تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وسترون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ التفسير: قال مجاهد: هذا وعيد من الله تعالى للمخالفين أوامره، بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى المؤمنين، وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾، وقال تعالى: ﴿يوم تبلى السرائر﴾، وقال: ﴿وحصل ما في الصدور﴾، وقد يظهر الله تعالى ذلك للناس في الدنيا كما قال الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة، لأخرج الله عمله للناس كائناً ما كان، وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيراً استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا) أخرجه أحمد والطيالسي، وقال البخاري: قالت عائشة رضي الله عنها: إذا أعجبك حسن عمل امرئ مسلم فقل: ﴿اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وفي الحديث الصحيح: إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قبل موته، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه أخرجه أحمد عن أنس ابن مالك، وفي مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي وعن حذيفة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (يكون في أمتي رجل يتكلم بعد الموت)، وقد أجمعوا أنه سعد بن خارجة بن أبي زهير أخو زيد قتل يوم أحد هو وأبوه وروى بن منده من طريق داود بن أبي هند عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير قال كان شاب من سراة شباب الأنصار وخيارهم ويقال له زيد بن خارجة وكان أبوه أو أخوه سعد بن خارجة أصيبا يوم أحد وأنه تكلم بعد موته فذكر القصة ورواها أبو نعيم مطولة وفيها إنه قال يا عبدالله بن خولة هل أحسنت إلى خارجة وسعد وكذا رواها مطولة في الجزء الثاني من حديث محمد بن نصر بن أحمد بن محمد بن مكرم بإسناده عن إبراهيم بن مهاجر عن حبيب بن سالم وفي الحادي عشر من أمالي المحاملي الأصبهانية.

وفي البداية والنهاية لابن كثير حدَّثنا الحكم بن هشام الثقفيّ، حدَّثنا عبد الحكم بن عمير عن ربعي بن خراش العبسيّ قال: مرض أخي الرَّبيع بن خراش فمرَّضته ثمَّ مات فذهبنا نجهِّزه فلمَّا جئنا رفع الثَّوب عن وجهه ثمَّ قال: السَّلام عليكم، قلنا: وعليك السَّلام قد مِت، قال: بلى، ولكن لقيت بعدكم ربي ولقيني بروح وريحان ورب غير غضبان، ثمَّ كساني ثياباً من سندس أخضر، وإني سألته أن يأذن لي أن أبشِّركم فأذن لي، وإنَّ الأمر كما ترون فسدِّدوا وقاربوا، وبشَّروا ولا تنفِّروا، فلمَّا قالها كانت كعصاة وقعت في ماء، ومن العهود المحمدية للإمام الشعراني شيخ الأزهر أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نرغب إخواننا التجار الذين يسافرون إلى الشام أن يجعلوا معظم نيتهم امتثال أمر الشارع في سكنى الشام دون التجارة، فإن التجارة حاصلة تبعا ولو لم ينووها، وذلك ليكونوا في سكناهم الشام تحت امتثال أمر الشارع فيثابوا على ذلك، بخلاف ما إذا جعلوا نيتهم التجارة فقط فلا يحصل لهم أجر عند بعضهم، لحديث: إنما الأعمال بالنيات، ولا ينافي ما ذكرناه قول سلمان الفارسي لأبي الدرداء: إن الأرض المقدسة لا تقدس أحدا، وإنما يقدس كل إنسان عمله، لأنا نقول إذا أمرنا الشارع بشيء فلا نخرج عن العهدة إلا بفعله، فنسكن في الشام امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم معولين على فضل الله لا على أرض الشام، وكذلك القول في حق من أقام بمكة والمدينة لأجل فضل الصلوات هناك يقيم لأجل مضاعفة الأجر في الصلوات هناك، ولا يعتمد في نجاته في الآخرة إلا على الله تعالى دون الأعمال الصالحة، فافهم، وكان لفظ أبي الدرداء الذي أرسله إلى سلمان الفارسي: أما بعد فهلم يا أخي إلى الأرض المقدسة فلعلك تموت فيها فكتب إليه سلمان: أما بعد، يا أخي فقد بلغني كِتابك وفهمت ما فيه وإن الأرض المقدسة لا تقدس أحدا، وإنما يقدس كل إنسان عمله والسلام، فإياك يا أخي أن تسافر للقدس أو دمشق بلا نية صالحة، فإن الدنيا وما فيها كالهباء إلا ما ابتغى به وجه الله، وقد علمت هذا العهد لبعض إخواننا من التجار فصار يحرر نيته من مصر إلى زيارة أبينا الخليل عليه الصلاة والسلام وإلى زيارة موسى ولوط وشعيب ونوح وإن لم يثبت من طريق المحدثين إن تلك القبور هي قبور هؤلاء الأنبياء يقينا فيزورهم العبد بالنية وأيضا فإن أرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها الإطلاق والسراح في البرزخ فلا يطلبهم إنسان في مكان وإلا ويحضرون عنده، وإذا كان بعض الأولياء يحضر عند مريده في أي وقت طلبه فالأنبياء أولى بذلك،

فما قول الجهول حبيس عقل
إذا جئنا بعلم برزخي

إن مولانا الإمام فخرالدين شيخنا وقدوتنا إلى الله سبحانه وتعالى الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني قد أفنى عمره في جميع طاعات الله سبحانه وتعالى والعمل على مرضاته ومحبته محبة حبيبه سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة أهل بيته الطاهرين وصحابته الغرّ الميامين رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكذلك محبة جميع أولياء الله الصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وقد أفرغ تلك المحبة في قلوب أبنائه ومريديه كما قال رضوان الله تعالى عليه:

وأرضعت أبنائي هوى آل احمد
فأورثهم طه الصفاء ورحمتي

ومن رحمته رضوان الله تعالى عليه أن أحب مريديه وجميع طالبي فضله فلم يبخل عليهم بأنفس ماعنده من جواهر العلوم وكنوز المعارف وأسرار اللطائف، فقد كان يلقى على المريدين دروسه في جميع العلوم الظاهرة والباطنة ويرد على تساؤلاتهم في جميع الشئون، وذلك حال حياته رضوان الله تعالى عليه، ثم لما أراد أن يثبت تلك العلوم في أذهان المريدين عمد إلى تأليف كتابيه النفيسين: أحدهما لإثبات أولياء الرحمن على أولياء الشيطان وثانيهما تبرئة الذمة في نصح الأمة وتذكرة أولى الألباب للسير إلى الصواب جمعها من نفائس الكتب كما أشار لذلك وذكر في كل كتاب أنه جامعه وليس مؤلفه تواضعاً منه، وقد جمع فيهما جميع مايلزم المريدين في تصحيح العقائد وأمرهم بالنصوص القاطعة والبراهين الساطعة في الرد على أصحاب العقائد الفاسدة في جميع ما ينكرونه من الكتاب والحديث الشريف وأوضح مراتب الحديث، فدوَّن بذلك علومه التي كان يلقيها كفاحاً، ثم لما انتقل رضوان الله تعالى عليه إلى الرفيق الأعلى نظم مانشره من علومه لتكون سهلة الرسوخ في الأذهان، وعليه فهو حاضر في حياته وبرزخه وآخرته كما قال رضوان الله تعالى عليه:

وإني وأيم الله ماغبت عنكم
وعاريتي ردّت لرب البرية

وأنكر البعض أن تكون القصائد من البرزخ والناس أعداء لما جهلوا وليس من حقهم أن ينكروا مالاعلم لهم به مع أن النصوص التي تؤيد ذلك واردة وواضحة وضوح الشمس ولكنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور،

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

بهذا المقال رميت إلى توضيح الأمثله التي تؤيد العلوم البرزخية، منها:

في المستدرك على الصحيحين حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا بحر بن نصر الخولاني، حدثنا بشر بن بكر، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني عطاء الخراساني قال: قدمت المدينة، فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شماس، فذكرت قصة أبيها، قالت: لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ الآية، وآية ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ الحديد: ٢٣، جلس أبي في بيته يبكي، ففقده رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فسأله عن أمره، فقال: إني امرؤ جهير الصوت، وأخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال: بل تعيش حميدا، وتموت شهيدا، ويدخلك الله الجنة بسلام، فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد، استشهد، فرآه رجل من المسلمين في منامه فقال:إني لما قتلت، انتزع درعي رجل من المسلمين، وخبأه في أقصى العسكر، وهو عنده، وقد أكب على الدرع برمة، وجعل على البرمة رحلا، فائت الأمير فأخبره، وإياك أن تقول:هذا حلم، فتضيعه، وإذا أتيت المدينة، فإت فقل لخليفة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم:

إن علي من الدين كذا وكذا، وغلامي فلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول:هذا حلم فتضيعه،

قال: فأتاه فأخبره الخبر، فوجد الأمر على ما أخبره، وأتى أبا بكر فأخبره، فأنفذ وصيته، فلا نعلم أحدا بعد ما مات أنفذ وصيته، غير ثابت بن قيس بن شماس، وأورد بن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ الأعراف، ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عمرو بن جامع من تاريخه: أن شابا كان يتعبد في المسجد فهوته امرأة فدعته إلى نفسها فمازالت به حتى كاد يدخل معها المنزل فذكر هذه الآية ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ فخر مغشيا عليه ثم أفاق فأعادها فمات، فجاء عمر بن الخطاب فعزى فيه أباه وكان قد دفن ليلا فذهب فصلى على قبره بمن معه ثم ناداه عمر فقال: يافتى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ فأجابه الفتى من داخل القبر: ياعمر قد أعطانيهما ربي عز وجل في الجنة مرتين، وأورد ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾ الأعراف، روى الإمام أحمد حدثنا إسماعيل عن الحريري عن أبي صخر العقيلي حدثني رجل من الأعراب قال: جلبت حلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغت من بيعي قلت لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرا التوراة يقرؤها يعزى بها نفسه عن ابن له في الموت . أي ميت . كأجمل الفتيان وأحسنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنشدك بالذي أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي؟ فقال برأسه هكذا أي لا. فقال ابنه إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم: أقيموا اليهوديعن أخيكم، ثم تولى كفنه والصلاة عليه، هذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح عن أنس، وقال تعالى ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ أورد ابن كثير في تفسير هذه الآية من سورة التوبة: قال أبو داود الطيالسي حدثنا الصلت بن دينار عن أخيه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال صلى الله عليه وسلم إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم في قبورهم فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك، وقال الإمام أحمد أنبأنا عبد الرزاق عن سفيان عمن سمع أنسا يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا من تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وأخرج أبونعيم عن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتا يقول لحميد الطويل هل بلغك أن أحدا يصلى في قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال ثابت: اللهم إن أذنت لأحد أن يصلى في قبره فأذن لثابت أن يصلى في قبره، وأخرج عن جسر قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتا البناني في لحده ومعي حميد الطويل فلما سوينا عليه الطين سقطت لبنة فإذا أنا به يصلى في قبره، أخرجه أبونعيم في الحلية، وورد في كتاب مفاهيم يجب أن تصحح وفي كتاب البرزخ.

قال صلى الله عليه وسلم من أمتي من يتكلم بعد الموت أخرجه المناوي في كنوز الحقائق والديلمي في مسند الفردوس، وروى أبو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال: رأيت سفيان الثوري فقلت: مافعل الله بك؟ فقال لي تلقينا:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي هنيئا
رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما إذا أظلم الدجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر أردته
وزرني فاني عنك غير بعيد

ووردت أيضا في البداية والنهاية لابن كثير المجلد السابع بلفظ آخر عن طريق الشيخ الموفق،

وعندما زار سيدي أحمد البدوي رضوان الله تعالى القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة وأتم التسلم وأنشد قائلاً:

إن قيل زرتم، بم رجعتم؟
يا أكرم الخلق مانقول

فجاءه الرد الشريف:

قولوا رجعنا بكل خير
وألحق الفرع بالأصول

وكذلك تكملة النبي صلى الله عليه وسلم لبيت الإمام البصيري رضوان الله تعالى عليه في قصيدته الميمية المشهورة:

أمن تذكر جيران بذي سلم

الذي قال فيه:

فحاصل الأمر فيه أنه بشر
فقال له صلى الله عليه وسلم قل:
وأنه خير خلق الله كلهم

وقصة الإمام العالم الشيخ الحسن علي بن حرزهم الفقيه المشهور المغربي رحمه الله الذي كان يبالغ في الإنكار على كتاب إحياء علوم الدين لمؤلفه الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رضوان الله تعالى عليه وكان ابن الشيخ حرزهم مطاعاً مسموع الكلمة فأمر بجمع ما ظفر به من نسخ كتاب الإحياء وأمر بإحراقها في الجامع يوم الجمعة فماذا كان:

لقد رأى في ليلة تلك الجمعة التي كان ينوي أن يحرق فيها هذا الكتاب الكبير كأنه دخل الجامع

صدقاً وبين الصحوتين قياما

السياط في ظهره وأعلم أصحابه وتاب إلى الله تعالى من إنكاره على الإمام الغزالي رضوان الله تعالى عليه واستغفر، ولكن بقي مدة طويلة متألماً من أثر السياط وهو يتضرع إلى الله تعالى ويتشفع بسيدنا وحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفي بإذن الله تعالى ثم لازم مطالعة كتاب إحياء علوم الدين ففتح الله تعالى عليه فيه ونال المعرفة وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رضوان الله تعالى عليه، فإن قال المنكرون هذه رؤيا! فما قولهم في السياط !

ومثال آخر معلوم لدى كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهو سماع تلاوة القرآن الكريم يتلى من قبور كثير من الموتى وكذلك الروايات الكثيرة المتواترة في هذا السياق ومن أعجبها قصة ذلك السخي الذي أكرم أضيافه وهو ميت،، فقد حكى أن قوماً من العرب جاءوا إلى قبر بعض أسخيائهم للزيارة فنزلوا عند قبره، فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له: هل لك أن تبادلني ببعيرك بنجيبي وكان السخي صاحب القبر قد خلف نجيباً معروفاً به، ولهذا الرجل صاحب الرؤيا بعير سمين، فقال له في النوم: نعم، فباعه بعيره بنجيبه، فلما تم بينهما العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه من نومه فإذا الدم يجري من نحر بعيره فقام إليه وقسَّم لحمه فطبخوه وقضوا حاجتهم منه ثم رحلوا وساروا، فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل من الركب من منكم فلان بن فلان باسم ذلك الرجل صاحب الرؤيا والبعير فقال: أنا، فقال له: هل بعت من فلان بن فلان شيئاً وذكر له اسم صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم، فقال: هذا هو نجيبه ثم قال: هو أبي وقد رأيته في النوم وهو يقول لي: إن كنت ابني فادفع نجيبي إلى فلان بن فلان وسمِّاك لي،

ومن كتاب المدرسة الشاذلية الحديثة للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر قال:

أما السيد البدوي فهو حي في قبره يجلس ويضطجع ويقابل جميع زواره، هذا حاله.

وأخيراً نذكر شهادة بن تيمية حينما سئل عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره؟

فأجاب: الحمد لله نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء على الأموات، كما روى بن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري قال إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا أخاكم يستريح فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه ويسألونه مافعل فلان ومافعلت فلانة هل تزوجت ووردت في مفاهيم يجب أن تصحح، وأخيرا،، تأييد ابن تيميه لهذه الوقائع حيث قال:ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو قبور غيره من الصالحين وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك،

ثم قال في موضع آخر:وكذلك مايذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقي الشياطين والبهائم لها، واندفاع النار عنها وعمن جاورها، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى واستجباب الاندفان عند بعضهم وحصول الأنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بها، فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه ومافي قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق مايتوهمه أكثر الخلق، من كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميه ومفاهيم يجب أن تصحح.

أبعد هذا ننكر علم البرزخ؟ ولهذا يقول مولانا الشيخ رضوان الله تعالى عليه:

فما قولُ الجهولِ حبيسُ عقلٍ
إذا جئنا بعلمٍ برزخي
فأدناه لدى أرباب فضلي
وأعلاه لدى العبد التقى
وما العبد التقى عليه علمى
بمضنون ولو كره الشقى

نسأل الله سبحانه وتعالى ان يرزقنا حسن العقيدة وأن يصلح عقائد الناس في الصالحين أجمعين ليسلموا ويسعدوا في دنياهم وأخراهم وقد قال مولانا الشيخ قريب الله رضوان الله تعالى عليه في مدح مولانا الشيخ رضوان الله تعالى عليه:

ويصفو الوقت من كدر أتاه
وتنقلب الضلالة بالهداء
هاديه الشلالي
هدى عبد الماجد
ريم أحمد

من علوم الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني - 35

ي- (ومنهم رضي الله عنهم: ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان)

لا يزيدون ولا ينقصون، يُشبهونَ الأبدال في بعض الأحوال وليسوا بأبدال أيتهم من كتاب الله ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ لهم اعتقاد عجيب في كلام الله بين الاعتقادين. هم أهل وحي إلهي لا يسمعونه أبداً إلا كسلسلة على صفوان، لا غير ذلك، ومثل صلصلة الجرس هذا مقام هؤلاء القوم.

ك- (ومنهم رضي الله عنهم: رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان)

آيته ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ له الاستطالة على كل شيء سوى الله شمم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقاً ويحكم عدلاً. قال سيدي محيي الدين كان صاحب هذا المقام شيخنا عبدالقادر الجيلي ببغداد كانت له الصولة والاستطالة بحق على الخق كان كبير الشأن أخباره مشهورة لم ألقه ولكن لقيت صاحب زماننا في هذا المقام، ولكن كان عبدالقادر أتم في أمور أكثر من هذا الشخص الذي لقيته، وقد درج الآخر ولا علم لي بمن ولِيَ بعده هذا المقام إلى الآن.

ل- (ومنهم رضي الله عنهم: رجل واحد مركب ممتزج في كل زمان)

لا يوجد غيره في مقامه وهو يشبه عيسى عليه السلام متولد بين الروح والبشر ولا يعلم له أب بشري كما يحكى عن بلقيس أنها تولدت بين الجن والإنس فهو مركب من جنسين مختلفين، وهو رجل البرزخ به يحفظ الله تعالى عالم البرزخ دائماً فلا يخلوا كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل يكون مولده على هذه الصفة فهو مخلوق من ماء أمه خلافاً لما ذكره أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد، بل الله على كل شيء قدير.

م- (ومنهم رضي الله عنهم: رجل واحد وقد يكون امرأة)

له دقائق معتمدة إلى جميع العالم وهو شخص غريب المقام لا يوجد منهم في كل زمان إلا واحد يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب، فيتخيل أنه القطب وليس بالقطب.

ن- (ومنهم رضي الله عنهم: رجل يسمى بمقامه سقيط الرفرف ابن ساقط العرش)

قال سيدي محيي الدين:لقيته بقونية آيته من كتاب الله ﴿والنجم إذا هوى﴾ حاله لا يتعداه، شغله بنفسه وبربه، كبير الشأن عظيم الحال، رؤيته مؤثرة في حال من يراه، فيه انكسار، هكذا شاهدته صاحب انكسار وذل، أعجبتني صفته، له لسان في المعارف، شديد الحياء.

س- (ومنهم رضي الله عنهم: رجلان يقال لهما رجال الغنى بالله)

في كل زمان من عالم الأنفاس أي الأولياء أصحاب المراتب كما تقدم، آيتهما من كتاب الله ﴿والله غني عن العالمين﴾ يحفظ الله بهما هذا المقام، للواحد منهما إمداد عالم الشهادة فكل غني في عالم الشهادة فمن هذا الرجل، وللآخر منهما إمداد عالم المكلوت فكل غنى بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل، والذي يستمدان منه (هذان الرجلان) روح علوي متحقق بالحق غناهُ الله ما هو غناه بالله، فإن أضفته إليهما فرجال الغنى ثلاثة وإن نظرت إلى بشريتهما، فرجال الغنى اثنان، وقد يكون منهم النساء ففني بالنفس وغني بالله وغني غناه الله، قال سيدي محيي الدين: ولنا جزء لطيف في معرفة هؤلاء الرجال الثلاثة رضي الله عنهم.

ع- (ومنهم رضي الله عنهم: شخص واحد يتكرر بقلبه في كل نفس)

لا ترى في الرجال أعجب منه حالاً، وليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام، يخشى الله ويتقيه، تحققت به ورأيته وأفادني: آيته من كتاب الله ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقوله تعالى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ لا يزال ترعد فرائصه من خشية الله هكذا شاهدناه.

ف- (ومنهم رضي الله عنهم: رجال عين التحكيم والزوائد وهم عشرة أنفس في كل زمان)

لا يزيدون ولا ينقصون مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين في تحصيل ذلك الغيب، فلا يكون لهم غيب. إذ كل غيب لهم شهادة، وكل حال لهم عبادة، فلا يصير لهم غيب شهادة، إلا ويزيدون إيماناً بغيب آخر ويقيناً في تحصيله. آيتهم من كتاب الله تعالى ﴿وقل رب زدني علماً﴾ ﴿وليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ ﴿فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ بالزيادة وقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾.

ص- (ومنهم رضي الله عنهم: اثنا عشر نفساً يقال لهم البدلاء وما هم الأبدال)

وهم في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون. مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين، وسموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقون، ناب منابهم وقام بما يقوم به جميعهم.

ق- (ومنهم رضي الله عنهم: رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس وهم من ملوك أهل طريق الله)

بهم يحفظ الله وجود العالم، آيتهم من كتاب الله تعالى ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾ لا يفترون عن صلاة في ليل ولا نهار. قال سيدي محيي الدين رضي الله عنهم وكان صالح البربري منهم لقيته وصحبته إلى أن مات وانتفعت به، وكذلك أبوعبدالله المهدوي بمدينة فاس صحبته كان من هؤلاء أيضاً.

ر- (ومنهم رضي الله عنهم: ستة أنفس في كل زمان)

لا يزيدون ولا ينقصون، كان منهم ابن هارون الرشيد أحمد السبتي. قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه: لقيته بالطواف يوم الجمعة يوم الصلاة سنة ٥٩٩ وهو يطوف بالكعبة، وسألته وأجابني ونحن بالطواف، وكأن روحه تجسد لي في الطواف حساً كتجسد جبريل في صورة أعرابي ولهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت بوجود الإنسان وقال رضي الله عنه: وأخبرت أن واحداً منهم كان من جملة العوانية من أهل أرزن الروم، أعرف ذلك الشخص بعينه وصحبتُه، وكان يعظمني ويراني كثيراً واجتمعت به في دمشق وفي سواس وفي ملطية وفي قيصرية، وخدمني مُدة، وكانت له والدة كان براراً بها، واجتمعت به في حرّان في خدمة والدته، فما رأيت فيمن رأيت من يبرُّ أمَّه مثله، وكان ذا مال وله سنون فقدته من دمشق، فما أدري هل عاش أو مات وبالجملة فما من أمر محصور في العالم في عدد ما إلا والله رجال بعدده في كل زمان يحفظ الله بهم ذلك الأمر.

القسم الثاني

في ذكر من لم يحصرهم عدد منهم رضي الله عنهم

(قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه: وقد ذكرنا من الرجال المحصورين في كل زمان في عدد ما الذين لا يخلو الزمان عنهم ما ذكرناه في هذا الباب فلنذكر من رجال الله الذين لا يختصون بعدد خاص ينثبت لهم في كل زمان بل يزيدون وينقصون.

١- (فمنهم رضي الله عنهم: الملامتية)

وقد يقولون الملامية، وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم، وسيد العالم فيهم ومنهم، وهو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها وأقروا الأسباب في أماكنها ونفوها في المواضع التي ينبغي أن تنتفي عنها، ولا أخلو بشيء مما رتبه الله في خلقه على حسب ما رتبوه، فما تقتضيته الدار الأولى تركوه للدار الأولى وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار الآخرة، فنظروا في الأشياء بالعين التي نظر الله إليها، لم يخلطوا بين الحقائق فالملامية مجهولة أقدارهم لا يفرقهم إلا سيدهم الذي حباهم وخصهم بهذا المقام، ولا عدد يحصرهم بل يزيدون وينقصون.

٢- (ومنهم رضي الله عنهم: الفقراء)

ولا عدد يحصرهم أيضاً بل يكثرون ويقلون. قال تعالى تشريفاً لجميع الموجودات وشهادة له: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ قال أبو يزيد: يا رب.. بماذا أتقرب إليك؟ قال: بما ليس لي، الذلة والافتقار. قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي ليذلوا.

٣- (ومنهم رضي الله عنهم: الصوفية)

ولا عدد يحصرهم بل يكثرون ويقلون وهم أهل مكارم الأخلاق، يقال من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف مقامهم الاجتماع على قلب واحد أسقطوا الياءات الثلاثة. فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي أي لا يضيفون إلى أنفسهم شيئاً أي لا ملك لهم دون خلق الله، فهم فيما أيديهم على السواء مع جميع ما سوى الله مع تقرير ما بأيدي الخلق للخلق لا يطلبونهم بهذا المقام وهذه الطبقة هي التي يظهر عليهم خرق العوائد عن اختيار واحد منهم ليقيموا الدلالة على التصديق بالدين وصحته في مواضع الضرورة. وقد عاينا مثل هذا من هذه الطائفة ومنهم من يفعل ذلك لكونه صار عادة لهم كسائر الأمور المعتادة عند أهلها فما هي في حقهم خرق عادة فيمشون على الماء وفي الهواء كما نمشي نحن وكل دابة على الأرض.

٤- (ومنهم رضي الله عنهم: العباد)

وهم أهل الفرائض خاصة قال تعالى مُثنياً عليهم ﴿وكانوا لنا عابدين﴾ ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض، ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطون الأودية ويسمون السُّياح ومنهم من يلازم بيته وصلاة الجماعات ويشتغل بنفسه، ومنهم صاحب سبب. ومنهم تارك السبب وهم صلحاء الظاهر والباطن، وقد عصموا من الغل والحسد، والحرص والطمع والشره المذموم، وصرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة، ولا رائحة عندهم من المعارف الإلهية، والأسرار، ومطالعة الملكوت، والفهم عن الله تعالى في آياته حين تتلى، غير أن الثواب لهم مشهود، والقيامة وأهوالها والجنة والنار لهما مشهودتان، دموعهم في محاربهم. ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً﴾- ﴿وتضرعاً وخيفة﴾ - ﴿إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ وإذامروا باللغو مروا كراماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ شغلهم هولُ المعاد عن الرقاد. وضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة ﴿إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ ليسوا من أهل الإثم والباطل في شيء عُمال، وأي عمال، عاملوا الحق بالتعظيم والإجلال.

كان أبومسلم الخولاني رحمه الله من أكابرهم كان يقوم الليل فإذا أدركه العياء ضرب رجليه بقضبان كانت عنده ويقول لرجليه أنتما أحق بالضرب من دابتي. أيظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يفوزوا بمحمد صلى الله عليه وسلم دوننا والله لنزاحمنهم عليه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً.

قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه لقينا منهم جماعة كثيرة ذكرناهم في كتابنا ورأينا من أحوالهم ما تضيق الكتب عنها.

أفهموا وتفقهوا

س: ما هو السلس؟ وما هي الأنواع التي يشملها؟ وما حكمه؟

ج: هو الخارج المعتاد من المخرج في حال المرض، وهو يشمل سلس البول والغائط والريح والمني والمذي والودي ودم الاستحاضة، وحكمه أنه إن لازم الوقت كله فليس على صاحبه شيء. وإن لازم جل الوقت أو نصفه فلا ينقض وضوؤه أيضاً لكن يستحب له ذلك، وإن لازم أقل من نصف الوقت كان ناقضاً ووجب منه الوضوء، والمراد بالوقت الوقت الشرعي الذي تكون فيه أوقات الصلوات وهو من الزوال إلى الشروق من اليوم التالي، وما ذكرناه من التفصيل إنما يكون إذا لم ينضبط وقت مجيء السلس، ووقت انقطاعه. وإذا لم يستطع صاحبه مداواته، فإن انضبط بأن جرت عادته إنه ينقطع آخر الوقت للصلاة وجب عليه تقديمها، وإذا استطاع مداواته وجب عليه التداوي، ولا يغتفر له إلا أيام المداواة، إلا إذا كان السلس سلس مذي ناشئاً عن برودة وعلة فيغتفر له ولو قدر على التداوي.

س: ما هو حكم الخارج من ثقبة؟

ج: إذا خرج الحدث من ثقبة تحت المعدة وانسد المخرجان كان الخارج ناقضاً للوضوء. فإن انسد أحدهما فقيل لا ينقض، وقيل ينقض الخارج إذا كانت الثقبة فوق المعدة سواء انفتح المخرجان أو انسد أحدهما.

س: هل ينقض خروج المني من فرج المرأة بعد اغتسالها؟

ج: ينقض إذا دخل فرجها بجماع فخرج بعد اغتسالها. أما إذا دخل بدون جماع فخروجه لا يعد ناقضا.

س: ما هو السبب؟

ج: هو ما كان مؤدياً إلى خروج الحدث.

س: هل ينقض النوم مطلقا؟

ج: له أربعة أنواع:

١) ثقيل طويل.

٢) وثقيل قصير، فالنقض فيهما.

٣) وخفيف طويل فيستحب منه الوضوء.

٤) وخفيف قصير فلا شيء على صاحبه ولا يستحب له الوضوء منه، ويعرف الثقيل أن لا يشعر صاحبه بالأصوات أو سقوط شيء من يده والخفيف هو بعكسه فيشعر بما ذكر.

س: ما هو حكم السكر والإغماء والجنون؟

ج: السكر ناقض سواء كان بحلال أو بحرام والمسكر هو ما أذهب العقل دون الحواس مع نشوة والإغماء ناقض أيضاً لا فرق بين طويلة وقصيرة وكذلك الجنون سواء كان بصرع أم لا.

إشراف محمد الحسن ود الفكي

تاريخ المدينة المنورة

مرحلة الارتباط بالأيوبيين (٥٦٤ - ٦٥٢هـ)

عاشت المدينة المنورة مدة طويلة من العهد الأيوبي في طمأنينة وسعة فقد اهتم بها الأيوبيون منذ أن كانوا يحاربون لإقامة دولتهم أو توسيعها. وكان أول من اهتم بها نور الدين زنكي الذي عني بطرق الحج ووزع أموالاً جزيلة على القبائل المقيمة قربه كي تؤمن المسافرين والقوافل وأرسل أموالاً وافرة إلى المدينة لإصلاح موارد المياه والطرق الداخلية وعندما زار المدينة سنة ٥٥٧هـ ناشده بعض أهلها أن يبني سوراً جديداً يستوعب الامتداد العمراني الذي ظهر خارج السور القديم فاستجاب لهم وأرسل الأموال اللازمة وبنى سوراً جديداً كبيراً حفظ أهل المدينة من الغارات، وينسب إليه أيضاً أنه أمر بإقامة جدار من الرصاص حول القبور الشريفة في المسجد النبوي بعد أن اكتشف محاولة بعض النصارى المتسترين حفر نفق إليها لسرقة جسد الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بإيعاز من بعض ملوك الصليبيين. وقد أحسن أمراء المدينة وهم من آل المهنا ولاسيما القاسم بن مهنا إقامة الروابط مع الأيوبيين ومع الخلافة العباسية، وكان مقرباً إلى صلاح الدين الأيوبي الذي عني بالحرمين الشريفين وأرسل الأموال الجزيلة إلى أميرها مقابل إسقاط الضرائب عن الحجاج كما أرسل الأموال إلى القبائل لحماية القوافل والحجاج رغم انشغاله بالحروب الصليبية وحاجته الماسة إلى المال لإنفاقه عليها. ومن مآثر صلاح الدين الأيوبي في المدينة أنه خصص الخدم للمسجد النبوي وجعل لهم أوقافاً في مصر لدفع رواتبهم، وكان هذا بداية لنظام الأغوات والذي استمر بعد ذلك إلى عصرنا الحاضر.

المدينة والصليبيون

في ذروة الحروب الصليبية، وخلال عهد صلاح الدين الأيوبي قام أحد ملوك الصليبيين (أرناط) بمحاولة لغزو المدينة، وكان أرناط شديد العداوة للمسلمين، وأغار على قوافل الحجاج ونهبها وفتك بالمسلمين، ثم عقد صلحاً مع الأيوبيين وتعهد بعدم الاعتداء على الحجاج، ولكنه أضمر الغدر فجهز حملة صليبية أنزلها في البحر الأحمر، فهاجمت إيلة وينبع وقتلت وأسرت ونهبت وأحرقت، ثم نزلت في ينبع وانتهت إلى الجبال، وعلم صلاح الدين بالأمر فأوعز إلى نائبه في مصر بتجهيز حملة لمطاردتهم في البحر والبر وقاد حسام الدين لؤلؤ الحملة، ولحق بالغزاة في الحجاز فهربوا إلى المرتفعات، فتبعهم وأدركهم على مسافة ليلة واحدة من المدينة وقتل بعضهم وأسر الباقين. فوزعهم صلاح الدين على الأمصار لتضرب أعناقهم فيها وما لبث أن تمكن من أسر أرناط في موقعة حطين وقتله بيده، وسلم الله المدينة من غزوة صليبية حاقدة. ظلت المدينة المنورة مرتبطة بالأيوبيين إلى نهاية عهدهم ولم يتدخل الأيوبيون في شؤون المدينة الداخلية، وتركوا لأمرائها إدارة شؤونهم المحلية، وكانوا يرسلون إليهم الأموال والهدايا، وبعد وفاة صلاح الدين ارتبطت بأولاده الذين حكموا مصر غالباً، ولكنها تأثرت بالصراع الذي قام بين الأمراء المحليين في مكة والمدينة، والصراع الذي قام بين الأيوبيين والرسوليين في اليمن، ولم يكن للمدينة قوة خارجية تعزز جنودها القليلين، لذلك تعرضت لهجوم بعض القبائل أثناء غياب أميرها سالم بن قاسم بن مهنا أواخر القرن السادس لبعض الوقت، كما طمع فيها أمير مكة قتادة بن إدريس وهاجمها فقاومه أهلها بقيادة أميرهم سالم، ومالبثوا أن ردوا عليه عدوانه فحاصروه في مكة ثم تركوه، وحاول قتادة القبض على أمير المدينة في موسم الحج فاستعدى عليه الملك العادل بن صلاح الدين الأيوبي ملك دمشق فأرسل حملة ضربت قواده في وادي الصفراء، وتوغل أمير المدينة قبل المعركة وخلفه ابن أخيه القاسم بن جماز هاهتم بتعزيز القوة العسكرية للمدينة، وأسس جيشاً صغيراً قوياً وعاقب بعض القبائل التي هددت المدينة والطريق إليها، كما هدد قتادة ومنعه من أن يهاجم المدينة ثانية، ومرت بالمدينة سنوات من الطمأنينة والأمن ونشطت الحركة العلمية في المسجد النبوي والحركة الاقتصادية، ولكن أمير المدينة تورط في الصراع القائم في مكة بين أميرها الذي عينه الأيوبيون وأحد أبناء قتادة وقاد جيشاً لنصرة قتادة فخسر المعركة وخسر حياته. وتولى بعده إمارة المدينة شيحة بن هاشم الذي أعاد العلاقة الطيبة مع الأيوبيين وساعدهم بقوة من أهل المدينة ضد خصومهم أتباع الدولة الرسولية في اليمن الذين استولوا على مكة وعاشت المدينة في عهده فترة هدوء وطمأنينة في غالب الأوقات ولكن الطريق إليها لم يسلم من بعض تهديدات الأعراب الذين قتلوا أمير المدينة شيحة وهو في طريقه إلى بغداد. وظلت المدينة موالية للأيوبيين في مصر حتى انتقلت منهم إلى المماليك فنقلوا ولاءهم إليهم.

بداية وقت التأريخ الإسلامي

قيل لَما قَدِمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة أمر بعمل التاريخ والصحيح المشهور أن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بوضع التاريخ، وسبب ذلك أن الصحابي الجليل أبا موسى الأشعري كتب إلى الإمام عمر بن الخطاب: أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ.. فجمع سيدنا عمر الناس للمشورة فقال بعضهم: أرّخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: بمهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سيدنا عمر: بل نؤرخ بمهاجرة رسول الله فإنّ مهاجرته فرّقت بين الحق والباطل، قاله الشعبي، وقال ميمون بن مهران: رُفِعَ إلى سيدنا عمر صَكٌ مَحَلُّه شعبان فقال: أي شعبان؟ أشعبان هو آت أم شعبان الذى نحن فيه؟ ثم قال أنه قال: أحيوا الله لما يفذوكم به، وأحيونى بحب الله، وأحيوا أهل بيتى بحبى. وقد صح أن سيدنا العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعييسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وفى رواية صحيحة أيضا: ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم منى. وفى رواية أخرى: والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله أيرجون شفاعتى ولا ترجونها بنو عبد المطلب. ويخطئ البعض من الناس فى حق أهل البيت سواء عن عمد أو جهل ويمتهن المنكرون حقهم ويدعى المدعون بالإفك بأن التقرب بحبهم باطل ولله در الثعلبى حينما قال: كفى قبحا بقول من يقول إن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ. وقد أخرج الزمخشرى فى الكشاف عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى. وقال أيضا: إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله تعالى دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ من المعلوم أن المودة لا تكون إلا على أثر المحبة ولا دين لمن لا محبة له، ومحبة أهل بيت النبوة نابعة من محبته ومحبته نابعة من محبة الله تعالى. وما رواه الترمذى والحاكم وصححه على شرط الشيخين عن الحبيب المصطفى قال: أحبوا الله لما يغذوكم به، وأحبونى بحب الله، وأحبوا أهل بيتى بحبى. وقد صح أن سيدنا العباس شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تفعل قريش من تعييسهم فى وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضب غضبا شديدا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال: والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله.

وفى رواية صحيحة أيضا: ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتى قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم منى. وفى رواية أخرى: والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله أيرجون شفاعتى ولا ترجونها بنو عبد المطلب. ويخطئ البعض من الناس فى حق أهل البيت سواء عن عمد أو جهل ويمتهن المنكرون حقهم ويدعى المدعون بالإفك بأن التقرب بحبهم باطل ولله در الثعلبى حينما قال: كفى قبحا بقول من يقول إن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيته منسوخ. وقد أخرج الزمخشرى فى الكشاف عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: من مات على حب آل محمد مات شهيدا، ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره ملائكة الرحمة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس اليوم من رحمة الله، ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة، ومن مات على بغض آل بيتى فلا نصيب له فى شفاعتى. وقال أيضا: إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله تعالى دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله له دنياه ولا آخرته، قلت: وما هن قال: حرمة الإسلام وحرمتى وحرمة رحمى. وقال: أثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتى ولأصحابى. الطبرانى فى المعجم الكبير وابن حبان فى صحيحه. كما قال: الحسن والحسين ابناى من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله عذاب عظيم. ابن عساكر والحاكم فى المستدرك. وقال: خلق الناس من أشجار شتى وخلقت أنا وعلى بن أبى طالب من شجرة واحدة، أنا أصلها وفاطمة غصنها وعلى لقاحها والحسن والحسين فروعها وشيعتنا أوراقها، من تعلق بغصن من أغصانها ساقه إلى الجنة ومن تخلف عنها هوى إلى النار. الطبرانى فى الأوسط.

وقال: إن لكل بنى أب عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم وهم عترتى خلقوا من طينتى ويل للمكذبين بفضلهم، من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله تعالى. الحاكم فى المستدرك وابن عساكر. ويدعى المدعون أن الأنساب لا تنفع على الإطلاق ويحتجون بقوله تعالى ﴿فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ مع أن هذه الآية نزلت فى الكفار، كما ورد فى تفسير ابن كثير ما قوله لرسول الله: فاطمة بضعة منى يغيظنى ما يغيظها وينشطنى ما ينشطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة إلا نسبى وسببى وصهرى.ولقد تزوج سيدنا عمر بن الخطاب بأم كلثوم بنت الإمام على كرم الله وجهه وقال: أما والله ما بى إلا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى.

وعن ابن عمر مرفوع سألت ربى عز وجل أن لا أتزوج إلى أحد من أمتى ولا يتزوج إلى أحد منهم إلا كان معى فى الجنة فأعطانى ذلك.

إبراهيم حسن محمود

لولا هواهم في القلوب وفي الحشا — مـا ذاق قـلـب لـذة الإيـمـان

على مرافئ أهل البيت

بالحقائق ناطقين

النصف من شعبان

مع عبير النصف من شعبان شهر الحبيب المصطفى حيث يمحو الله سبحانه وتعالى ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ينعقد الأمل ويتجدد الرجاء في بدأ صفحة جديدة من العبد مع ربه فيمحو الله شقوته ويثبت سعادته فاللوح المحفوظ محفوف من التعديل والتبديل حيث جفت الأقلام وطويت الصحف، ولكن السعادة والشقاء قد أبرم لها في ألواح المحو والإثبات حيث يكون الفرج في شهر الفرج من نبي الفرج لكل مذنب ومع النصف من شعبان يكون الندم على ما فات والفرح بما هو آت قال تعالى:﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ وقال أنس بن مالك: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: التائب من الذنب كمن لا ذنب له وإذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب ثم تلى﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقيل: يا رسول الله ما علامة التوبة؟ قال: الندم.

قال سيدى الشيخ محمد عثمان عبده البرهانى: أن التوبة هى الرجوع عن الذنب، والذنب ينقسم إلى ثلاثة مراتب:إما بدنى يتعلق بالجوارح فى مرتبة الإسلام هو أن يسرق، يزنى، أو أن لا يصلى ولا يصوم.. والتوبة منه العودة إلى تنفيذ الأوامر واجتناب النواهى.

أما مرتبة الإ يمان فالتوبة فيها قلبية يستزيد فيها المؤمن بعمل النوافل لا الفرائض، فإذا غفل عن الذكر كان ذنباً، وتكون التوبة منه العودة إلى الذكر وباقى النوافل وفيه يقول صلى الله عليه وسلم: (لو لم تذنبوا وتتوبوا لأذهبكم الله وأتى بأناس يذنبون فيتوبون فيتوب عليهم).

وبعد ذلك تكون مرتبة الإحسان وفيها يكون الله فى سمع العبد وبصره، ويكون العبد دائما فى مشاهدة مع الحق لا يحق له أن يغفل عنه بالاشتغال مع الخلق فإن غفل عن المشاهدة كان ذنباً عليه التوبة منه بالرجوع إلى المشاهدة..!!

هاديه الشلالي

النصف من شعبان

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق محمد بن سوقة، عن عكرمة(فيها يفرق كل أمر حكيم) قال: في ليلة النصف من شعبان يبرم أمر السنة وينسخ الأحياء من الأموات ويكتب الحاج، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أحد، وأخرج ابن زنجويه والديلمي، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى، وأخرج ابن أبي شيبة، عن عطاء بن يسار قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر أكثر صياما منه في شعبان، وذلك أنه ينسخ فيه آجال من ينسخ في السنة.

وأخرج ابن مردويه وابن عساكر، عن عائشة قالت: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر أكثر صياما منه في شعبان لأنه ينسخ فيه أرواح الأحياء في الأموات، حتى أن الرجل يتزوج وقد رفع اسمه فيمن يموت، وأن الرجل ليحج وقد رفع اسمه فيمن يموت.

وأخرج أبو يعلى، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم شعبان كله، فسألته؟ قال: إن الله يكتب فيه كل نفس ميتة تلك السنة، فأحب أن يأتيني أجلي وأنا صائم، وأخرج الديلمي في المجالسة عن راشد بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: في ليلة النصف من شعبان يوحي الله إلى ملك الموت بقبض كل نفس يريد قبضها في تلك السنة، وأخرج ابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان، عن الزهري. عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل ينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى قال: الزهري وحدثني أيضا عثمان بن محمد بن المغيرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول من استطاع أن يعمل في خيرا فليعمله، فإني غير مكرر عليكم أبدا، وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما: يا طالب الخير أبشر، ويقول الآخر: يا طالب الشر أقصر، ويقول أحدهما: اللهم أعط منفقا مالا خلفا، ويقول الآخر: اللهم اعط ممسكا مالا تلفا، وأخرج ابن أبي الدنيا، عن عطاء بن يسار قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة، فيقال اقبض من في هذه الصحيفة، فإن العبد ليفرش الفراش وينكح الأزواج ويبني البنيان وإن اسمه قد نسخ في الموتى، وأخرج الخطيب في رواة مالك، عن عائشة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يفتح الله الخير في أربع ليال، ليلة الأضحى والفطر، وليلة النصف من شعبان، ينسخ فيها الآجال والأرزاق ويكتب فيها الحاج، وفي ليلة عرفة إلى الأذان، وأخرج الخطيب وابن النجار، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان ولم يكن يصوم شهرا تاما إلا شعبان، فقلت يا رسول الله: إن شعبان لمن أحب الشهور إليك أن تصومه؟ فقال: نعم يا عائشة إنه ليس نفس تموت في سنة إلا كتب أجلها في شعبان، فأحب أن يكتب أجلي وأنا في عبادة ربي وعمل صالح ولفظ ابن النجاريا عائشة إنه يكتب فيه ملك الموت ومن يقبض، فأحب أن لا ينسخ اسمي إلا وأنا صائم وأخرج ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان ليلة النصف من شعبان، اطلع الله تعالى إلى خلقه، فيغفر للمؤمنين، ويملي للكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه.

وأخرج البيهقي، عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يطلع الله في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن.

وأخرج البيهقي عن عائشة قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل يصلي، فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك، قمت حتى حركت إبهامه، فتحرك، فرجعت، فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته، فقال: يا عائشة، أو يا حميراء ظننت أن النبي قد خاس بك قلت: لا والله يا نبي الله ولكني ظننت أنك قبضت لطول سجودك فقال: أتدرين أي ليلة هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: هذه ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم.

وأخرج البيهقي، عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع عنه ثوبيه ثم لم يستتم أن قام، فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع بقيع الغرقد يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء، فقلت: بأبي أنت وأمي أنت في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا، فانصرفت فدخلت في حجرتي ولي نفس عال، ولحقني النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ما هذا النفس يا عائشة؟ فقلت: بأبي أنت وأمي أتيتني، فوضعت عنك ثوبيك ثم لن تستتم أن قمت فليستهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع، قال يا عائشة: أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ بل أتاني جبريل عليه السلام، فقال هذه الليلة ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم كلب، لا ينظر الله فيها إلى مشرك ولا إلى قاطع رحم ولا إلى مسبل ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر، قالت: ثم وضع عنه ثوبيه، فقال لي: يا عائشة أتأذنين لي في القيام هذه الليلة؟ فقلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلا طويلا حتى ظننت أنه قد قبض، فقمت أتلمسه ووضعت يدي على باطن قدميه، فتحرك وسمعته يقول في سجوده: أعوذ بعفوك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلما أصبح ذكرتهن له، فقال يا عائشة: تعلمتيهن؟ فقلت: نعم، فقال: تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود.

وأخرج البيهقي، عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي، فلما كان في جوف الليل، فقدته فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفعت بمرطي، فطلبته في حجر نسائه، فلم أجده فانصرفت إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدا، فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشر نقيا، لا جافيا ولا شقيا، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته، فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة! هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن.

وأخرج البيهقي، عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل فيها إلى السماء الدنيا نادى مناد هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل أحد إلا أعطي، إلا زانية بفرجها أو مشرك، وأخرج البيهقي، عن علي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان من الغيرة، فتلفعت بمرطي، فطلبته في حجر نسائه، فلما لم أجده انصرفت إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدا، فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشر نقيا، لا جافيا ولا شقيا، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته، فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة! هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن.

وأخرج البيهقي، عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل أحد إلا أعطي، إلا زانية بفرجها أو مشرك، وأخرج البيهقي، عن علي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان من الغيرة، فتلفعت بمرطي، فطلبته في حجر نسائه، فلما لم أجده انصرفت إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدا، فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشر نقيا، لا جافيا ولا شقيا، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته، فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة! هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها إلى السماء الدنيا، فيغفر لعباده إلا المشرك والمشاحن.

وأخرج البيهقي، عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ فلا يسأل أحد إلا أعطي، إلا زانية بفرجها أو مشرك، وأخرج البيهقي، عن علي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان من الغيرة، فتلفعت بمرطي، فطلبته في حجر نسائه، فلما لم أجده انصرفت إلى حجرتي، فإذا أنا به كالثوب الساقط وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي وآمن بك فؤادي فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي يا عظيم يرجى لكل عظيم يا عظيم اغفر الذنب العظيم سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره، ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدا، فقال: أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك منك أنت كما أثنيت على نفسك، أقول كما قال أخي داود أعفر وجهي في التراب لسيدي وحق له أن يسجد، ثم رفع رأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشر نقيا، لا جافيا ولا شقيا، ثم انصرف فدخل معي في الخميلة ولي نفس عال، فقال ما هذا النفس يا حميراء؟ فأخبرته، فطفق يمسح بيديه على ركبتي ويقول: ويح هاتين الركبتين ما لقيتا في هذه الليلة! هذه ليلة النصف من شعبان ينزل الله فيها

ليلة النصف ووحدة الصف

لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يحبو أمة حبيبه صلى الله عليه وسلم ويمن عليهم بما لم يعطه لكل الأمم من قبلهم جعل لهم من أيامهم نفحات كما ورد في الحديث قال صلى الله عليه وسلم ألا إن لكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها وعندما اشتدت عداوة من إدعوا أن لهم دين، وكتاب قالوا إن محمد وأصحابه ليس لهم قبلة لصلاتهم هم يتبعون قبلتنا إلى المسجد الأقصى ولو كانوا أصحاب الدين الخاتم لجعل لهم ربهم قبلة يرضونها غير قبلتنا التي نحن عليها إلى المسجد الأقصى الذي أمر الله ببنائه وكان الأمر لسيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكم كان للمسجد الأقصى حنينا وحبا من الحبيب صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولما لا وهو المكان الذي عرج منه إلى الملأ الأعلى للقاء الحبيب بالحبيب وصلى فيه بإخوانه الأنبياء والمرسلين إمام وكانت منه أعظم رحلة بل هي الأعظم على الإطلاق منذ بدأ الخلق حتى يرث الله الأرض ومن عليها وقد شق قولهم على الحبيب صلى الله عليه وسلم فاخذ يقلب وجهه في السماء (الملأ الأعلى) وليس من الأرض إلى السماء بل في السماء، وجاءت بشرى البشريات وليالي النفحات من لدن من له العزة والسبحات سبحانه جل شأنه لبرضيه إذ أن الله عز وجل خلقه وأرسله وبعثه ليرضيه صلى الله عليه وسلم.

وكما قال له في محكم تنزيله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ وقال له ﴿وإذ نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ هكذا يكون عطاء الحبيب للحبيب (يرضيه) وياليتنا نعي هذا !! ورضاء الحبيب صلى الله عليه وسلم ليس إلا أن ينصره ويعزه وأمته وتابعيه إلى يوم الدين، ولما كانت لمكة والحرم المكانة العظمى وهي أحب بقاع الأرض للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم عندما نظر إليها وتأوه لحظة أخرجوه منها وقال: إنه يامكة اللهم إنهم قد أخرجوني من أحب البقاع إليّ فأسكني في أحب البقاع إليك، فأسكنه الله المدينة الحبيبة ليرضيه هكذا قال الله له ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وأينما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾، وفي السيرة أن المسجد ذو القبلتين الكائن بأعلى المدينة المنورة عندما نزلت الآية كان صلى الله عليه وسلم في صلاة العصر يؤم الصحابة والمؤمنين فصلى ركعتين تجاه المسجد الأقصى ونزلت الآية فلم ينتظر صلى الله عليه وسلم للصلاة القادمة لتكون إلى المسجد الحرام ولكن نفذ الأمر في اللحظة فدار بميمنا قليلا والصحابة من خلفه دارو كما دار ثم رووا رويدا حتى استوى تجاه المسجد الحرام دونما اعتراض ودونما سؤال هكذا يكون الإتباع وانتهوا من صلاتهم فنزلت الآية ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول أم من ينقلب على عقبيه﴾ وهكذا كانت وحدة الصف صفا واحدا يدورون وراءه وحيثما ولى وجهه يولون ولايسألون لتكون وجهة واحده وصفا واحدا واتباعا صادقا هكذا علمنا شيخنا وإمامنا وحبيبنا رضي الله عنه وأرضاه سيدي فخر الدين الذي قال :

فقبلتك المعظمة اختصاصا
بلا كيفية حيث ابتداها
فهذي قبلة قلبت قلوبا
على أعقابها يوم اصطفاها

هنا وحدة الصف ووحدة الوجهة وقال أيضا

ووحدة الصف عندي عمدة الدين
فيالها من ليلة (ليلة النصف من شعبان) ليلة الرضا والعطاء وليلة الإتباع صفا واحدا في شهر شعبان شهر الحبيب صلى الله عليه وسلم فاللهم إنك عفو كريم حليم عظيم تحب العفو فاعفو عنا وذلك أحب دعاء في تلك الليلة إتباعا له صلى الله عليه وسلم لتكون ليلة النصف ووحدة الصف.

مدحت عبد الحميد
الدنمارك

ركن المرأة

مابين المادية والروحية

الوقت يمر مسرعا وكذلك شارع الخطى نحو الأفضل في كل مناحي الحياة، وهنالك من البشر من يتواكب مع هذه السرعة وآخرين يدعون المواكبة فقط وفي واقع الأمر لايستطيعون، ومع هذا الصداع الدائم لحركة الحياة يرتفع معدل الإعتماد على العقل وشئ ما يتضاءل ويضعف الإهتمام به.. أتدرون ماهو؟ الإهتمام بأمر الدين والعمل به، وخصوصا جانب العبادات والمعاملات ويكون هذا التجاهل بسبب الإنشغال الدائم بأمور الدنيا أو الجهل بأمور الدين باعتبار أن المدنية الحديثة تقوم على طلب العلم وتحقيق أكبر قدر من المكاسب المادية لتحقيق السعادة، وللأسف أن هذه الغمة قد أصابت العالم الإسلامي وذلك من خلال التلاقح الفكري واللقاءات المتكررة ما بين أبناء العالم الأول كما يسمون وأبناء العالم الثالث أو لنقل أبناء العالم الذي لم يسم بعد، ولكن هذه العوالم تنصهر مع بعضها البعض حين دخولهم البوتقة البرهانية حيث يصطلى الجميع بنار حب المصطفى وأهل بيته لينتفي عنه خبث الدنيا ويتشكل في قالبه الجديد السعيد حيث تتضح معالم الطريق للجميع بأن المادية البحتة ليست الطريق إلى سعادة الروح وإن حققت سعادة البدن، فإن عدم الإستقرار بل والقلق الدائم كان يحكم حياتهم بالرغم من تحقيق كل الرغبات والملذات واستقرار مصدر الرزق بما يفيض عن الحاجة فنجد أن ارتفاع نسبة الإنتحار في أكثر البلاد دخلا للفرد وهذا يخالف المنطق والعقل بل أنهم أكثر الناس تعرضا للأمراض النفسية والعقلية، هنالك شئ ما لايحقق لهم الإنسجام العاطفي بين أرواحهم وأجسادهم ألا وهو ظلام اليأس الذي لايبدده إلا نور الإيمان بالله وحب رسوله ومصطفاه والانشغال بالذكر والصلاة علي الحبيب يقتل الفراغ والملل

الوقت في سنن العبادة قد فنى
وأنا بقولي منذر وبشير

هدى عبد الماجد

اختبر معلوماتك

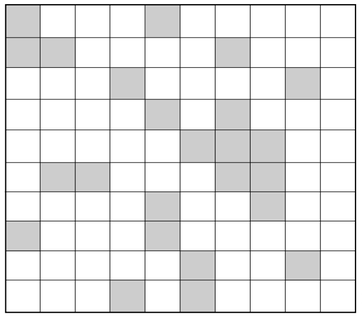

- أفقياً:

١- من أبناء سيدنا اسحق عليه السلام- جواهر
٢- في الصحراء (معكوسة)- من الحواس الخمس
٣- مدينة بصعيد مصر (معكوسة)- مفرد أراضي (معكوسة)
٤- من الألوان- قاتل جالوت
٥- للتعريف- عالم فرنسي (موريس...) معكوسة
٦- كمل وانتهى (معكوسة)- عسكر (معكوسة)
٧- بسط- متشابهان- ضربه بالسوط
٨- سما وعلا- في الحرملة
٩- متشابهان- دهور (معكوسة)
١٠- أكلة سعودية- أظهر خلاف ما يضمر

- رأسياً:

١- عالم المدينة
٢- أداة جزم- لاعب كرة بفريق الأرسنال (فيييرا...)
٣- درجة عسكرية- درع
٤- من الأنعام
٥- بعث لقوم ثمود- أزل (معكوسة)
٦- سأم (معكوسة)- نظير (معكوسة)- خسر وهلك (معكوسة)
٧- جذب (معكوسة)- من أركان الصلاة (معكوسة)
٨- شهر الأمة- أنام
٩- حكى- من العشرة المبشرين بالجنة
١٠- أتولى تدريبه- تألم

	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
1	ر	ج	ب	ي		ي	س	ت	ع	د
2	ض	ب	ا	ع		ح	م	ل	ا	ن
3	و	ا	ل	د	ت	ي		ج	م	ل
4	ا	ل	غ	و	ا	ي	هـ		ا	ا
5	ن		هـ	ا	ت		و	ج	ل	
6		ا		ن		ن	ا	ن	ف	ا
7	د	م	ل		ا		ج	ا	ي	س
8	ر	ا	ع		ر	ي	س	ي	ل	ا
9	ا	ل	ا	س	ق	ع		ن		ل
10	م	س	ج	د	ا	ي	ل	ي	ا	

حل العدد السابق

ركن الطفل

ارقد فإنك صغير

دخل أبو يزيد البسطامي الكتاب وهو صغير، فلما وصل إلى قوله تعالى ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ قال لأبيه طيفور بن عيسى: يا أبت من ذا الذي يقول له الحق سبحانه وتعالى هذا الخطاب؟ فقال يا بني: ذاك سيدنا محمدعليه الصلاة والسلام، فقال: يا أبت مالك ما تفعل كما كان يفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: يا بني أمر خص به رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم خفف عن في سورة طه، فلما وصل إلى قوله تعالى ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك﴾ قال: يا أبت إني أسمع أن طائفة كانوا يقومون الليل، قال أبوه: نعم أولئك أصحابه عليه الصلاة والسلام، فقال: يا أبت فأي خير في ترك شئ فعله رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه؟ قال: فكان أبوه بعد ذلك يقوم الليل كله، فانتبه أبو يزيد ليلة فقال: يا أبت علمني أصلي معك، قال: يا بني ارقد فإنك صغير بعد، فقال: يا أبت إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم وقال لي ربي: ما فعلت؟ أقول لربي: قلت لا بى علمني أصلي معك فقال لي ارقد فانك صغير بعد؟ فقال أبوه: لا والله ما أريد أن تقول ذلك، ثم علمه يصلي فكان بعد ذلك يقوم الليل ويصلي غالبه.

صالح

مولده ﷺ - 18

ذكر أن علي بن أبي طالب رضي لله عنه أول ذكر أسلم

قال ابن إسحاق: ثم كان أول ذَكَر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى: علي بن أبي طالب ابن عبدالمطلب بن هاشم، رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي نُجيح، عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج، قال: كان من نعمة الله علي علي بن أبي طالب، ومما صنع الله له، وأراده به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه، وكان من أيسر بني هاشم، يا عباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلا، وتأخذ أنت رجلا، فنكلهما عنه، فقال العباس: نعم.

فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما – قال ابن هشام: ويقال: عقيلا وطالبا .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا، فاتبعه علي رضي الله عنه، وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه قبل الإسراء.

أمر الله له صلى الله عليه وسلم بمبادأة قومه

قال ابن إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة، وتحدث به. ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين – فيما بلغني – من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر، وأعرض عن المشركين﴾. وقال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. وقل إني أنا النذير المبين﴾.

ترسيخ التوحيد

من الثابت أن الآيات التي نزلت بمكة كلها في العقائد لأن العبادات بدأت بفرض الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج أي قبل الهجرة بعام واحد ومن الثابت أن الوضوء قد فرض بالمدينة وأن العبادات في بداية الإسلام بمكة بدأت بذكر الإسم الله فالأمر الإلهي في سورة(المزمل) وهي أول ما نزل بعد(إقرأ) وذلك يعني أن الذكر بالإسم المفرد أول عبادة أمر بها الحبيب وهي السبيل الوحيد لترسيخ التوحيد أي أن الذي لايذكر بالإسم المفرد غير راسخ في التوحيد الصحيح فما بالك بالذي يحارب الذكر؟

عداوة قومه له صلى الله عليه وسلم، ومساندة أبي طالب له

قال ابن إسحاق: فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله، لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه – فيما بلغني – حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه، وأجمعوا خلافه وعداوته، إلا من عصم الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستخفون، وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمُّه أبو طالب، ومنعه وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله، مظهرا لأمره، لا يرده عنه شيء.

فلما رأت قريش، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه، من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه، وقام دونه، فلم يسلمه لهم، مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب وهم: عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأبو البختري بن هشام بن الحارث بن أسد، وأبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، والوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان، وأمية بن خلف الجمحي، في رجال من أشرافهم غيرهم، فأتوه فقالوا: يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، وعاب ديننا، وسفه أحلامنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفه عنا، وإما أن تخلي بيننا وبينه، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه، فنكفيكه، فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا، وردهم ردا جميلا، فانصرفوا عنه ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى (٢/ ١٠١) تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين، أوكما قالوا له. ثم انصرفوا عنه، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفسا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه.

ما دار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي طالب

قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حُدث: أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا ابن أخي، إن قومك قد جاءوني، فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبقِ عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، قال: فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء أنه خاذله ومسلمه، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه.

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه، ما تركته. قال: ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكى ثم قام، فلما ولى ناداه أبو طالب، فقال: أقبل يا ابن أخي، قال: فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبدا.

يَا أَهْلَ بَدْرٍ يَا صَحَابَةَ أَحْمَدٍ ... مَنْ لِلْقُلُوبِ شَرَابُهَا وَالزَّادُ
الْمُصْطَفِي مِنَّا أَئِمَّةَ صَحْبِهِ ... وَبِكَفِّهِ التَّقْرِيبُ وَالْإِبْعَادُ
كَمْ دَوْلَةٌ زَالَتْ وَلَكِنَّا بِهِ ... سُدْنَا وَسَادَتْ دَوْلَةٌ وَعِبَادُ
الْوَعْدُ حَقٌّ وَالْمَلَائِكُ عِنْدَهُ ... وَهُوَ الْمَلِيكُ وَكُلُّهُمْ أَجْنَادُ
لَا يَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ فِيكُمْ أَنْ يَفِي ... إِنَّ الْبِحَارَ لِذِكْرِكُمْ لَمِدَادُ
وَالنَّارُ إِنْ تَسْمَعْ حَدِيثًا عَنْكُمُ ... فَهِيَ الْخَمِيدَةُ وَاللَّهِيبُ رَمَادُ
أُشْهِدْتُ رَكْبَ الْمُزْدَفِينَ إِلَيْكُمُ ... أَعْنَاقُ أَهْلِ الشِّقْوَتَيْنِ حَصَادُ
الرَّبُّ أَوْحَى لِلْمَلَائِكِ شَبِّتُوا ... إِنِّي سَأُلْقِي وَالْقَدِيمُ يُعَادُ
إِنْ جَاءَنِي زَحْفٌ لَوَلَّى مُدْبِرًا ... مُتَحَرِّفًا لِيَكِيدَنِي فَيُكَادُ
إِلَّا الْمَوَدَّةَ مَا سَأَلْنَا حِبَّنَا ... إِنَّ الْمَوَدَّةَ رِفْعَةٌ وَرَشَادُ
أَوْلَى مِنَ الظَّعْنِ الطَّوِيلِ مَثُوبَةً ... هِيَ نِيَّةُ الْأَوَّابِ وَاسْتِعْدَادُ
كَمْ نَالَ أَهْلُ اللَّهِ مِنْحَةَ وَاهِبٍ ... وَشَهَادَةً لِلَّهِ لَا اسْتِشْهَادُ

من ديوان «شراب الوصل»

عبير التاريخ

الإمام الشافعي

ما أحوجنا إلى عبير التاريخ وخصوصا عندما يختلط الحابل بالنابل فقد استمعت إلى حوار مع أحد الأدباء المشهورين في إحدى الفضائيات حيث يتحدث عن فارق الثقافة الآن وفي العصر القديم فضرب المثال على ذلك بقوله أنه شخصيا يجيد سبع لغات وقرأ من الكتب والمعلومات ما يزيد عما قرأه الأمام الشافعي طوال حياته، ونحن هنا نود أن لانرد على قوله ولكني أرجو من القارئ العزيز أن يأتي معي لنستنشق عبير تاريخ الشافعي الذي نجده في مجلس التعلم وهو لم يتعد السابعة من عمره ونستمع إلى حوار قرنائه مع المعلم فهم غاضبون لأن المعلم يفضل الشافعي عليهم ويقدمه ويحبوه بعناية ورعاية لايحظون بها ويسألون ما الفرق بين الشافعي وبينهم ليميزه عليهم فقال لهم المعلم سوف ترون في الغد إن شاء الله، فلما أن كان الغد جلس كل طالب في مكانه،وكان لكل منهم فروة (من فراء الخراف) يجلس عليها فلما جلس الشافعي ظل يتقلق على فروته وينظر مرة إلى السقف ومرة إلى الأرض في تعجب فسأله المعلم ما بك يابن إدريس؟ فقال لاأدري كأن السقف قد هبط إلى الأرض أو أن الأرض قد ارتفعت إلى السقف ! فقال المعلم كم من المقدار تظن هذا الإرتفاع؟ فقال الشافعي بمقدار فرخ من الورق، فقال المعلم قم وانظر تحت الفروة، فرفعها الشافعي فوجدوا تحتها فرخ من الورق، قد وضعه المعلم ليختبر قوته على الملاحظة، فتعجب الطلاب من قوة ملاحظته، ولما ذهب الشافعي لتلقي العلم من الإمام مالك سأله الإمام عن مؤهلاته ليتلقى العلم عنده وكان الشافعي آن ذاك لم يبلغ السابعة عشر من عمره، فرد قائلا بأنه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع ويعرف الناسخ من المنسوخ من الآيات وكذلك المحكم والمتشابه منها وكيف يرد المتشابهات إلى محكماتها،كما أنه يعرف أسباب نزول الآيات أين نزلت ومتى نزلت وفيمن نزلت كما أنه يعرف عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها كما أنه اعتذر ألى الإمام مالك بتقصيره في الحديث فهو لايحفظ سوى عشرة آلاف من الأحاديث النبوية الشريفة ويعلم مواطنها وناسخها ومنسوخها ويعد أن يستمر في حفظ المزيد، ومع كل هذا قال الإمام مالك الآن نقبلك تلميذا، وهذا الشافعي الذي كان يقرأ الكتب بالنظر إلى الصفحة كاملة أي يقرأ الكتاب صفحة صفحة وليس كلمة كلمة وكان إذا فتح الكتاب يغطي الصفحة اليسرى وينظر في اليمنى ثم يغطي اليمني كي ينظر في اليسرى لأنه لو لم يفعل ذلك قرأ الصفحتين معا فتخلط المعلومات في داخله وهذا ما يعرف في العلم الحديث بتخزين المعلومات في(الهارد ديسك) بطريقة (الإسكانر)، واشتهر الشافعي بالحلم مع العلم ولما أراد الناس إختبار حلمه صنع له الخياط جلبابا قد طلبه الشافعي فلما ذهب ليجربه وجد أن الخياط قد قصر الكم الأيمن إلى النصف وأطال الكم الأيسر مرة ونصف، وجلس الناس ينظرون كيف يكون غضب الشافعي ! فنظر إلى الخياط وقال له إني كنت على وشك أن أطلب منك هذا ولكن خفت أن تظن بي الجنون، فأنا حينما أكتب يسبقني الكم الأيمن إلى المحبرة فقصرته لى وحينما أقرأ أود تغطية الصفحة التي لاأقرؤها بكمي الأيسر فشكرا لك على صنيعك، وضاعف للخياط الأجرة وقال الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة (إن الشافعي كالشمس للناس والعافية للبدن) وقد انتفع الملايين بعلم الشافعي الذي وصفته نفيسة العلم وهي السيدة نفيسة بنت سيدي الحسن الأنور بن سيدي زيد الأبلج بن الإمام الحسن السبط بقولها (رحم الله الشافعي فإنه كان يحسن الوضوء) أي أن هذا مقدار علم الشافعي إلى علومها فأين أنت من هذه العلوم أيها الأديب يامن درست آلاف الكتب واللغات ولكنه علم لاينفع وجهل لايضر.

محمد صفوت جعفر

ضريح الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه - القاهرة